شعر



مجدى شندى

لغة تشبهنى

باطمئنان

مجدى شندى
لغة تشبهنى
شعر

الهيئة المصرية العامة للكتاب

رئيس مجلس الإدارة

د. هيثم الحاج علي

رئيس الإدارة المركزية للنشر

د. سهير المصادفة

الإخراج الفني

إيناس الدكروري

التصحيح اللغوي

منى عيد

لغة تشبهني

شعر

تأليف/ مجدي شندي

الطبعة الأولى: الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠١٨

ص.ب ٢٣٥ رمسيس
١١٩٤ كورنيش النيل - رملة بولاق القاهرة
الرمز البريدي: ١١٧٩٤
تليفون: ٢٥٧٧٥١٠٩(٢٠٢) داخلي ١٤٩
فاكس: ٢٥٧٦٤٢٧٦(٢٠٢)

GENERAL EGYPTIAN BOOK ORGANIZATION
P.O.Box: 235 Ramses.
1194 Cornich El Nil - Beulac - Cairo
P.C.: 11794
Tel.: +(202) 25775109 Ext. 149
Fax: +(202) 25764276

website: www.egyptianbook.org.eg
E-mail: ketabgebo@gmail.com
www.gebo.gov.eg

الطباعة والتنفيذ
مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

شندي، مجدي.
لغة تشبهني: شعر/ مجدي شندي. ـ القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٨.
٢٨٨ ص؛ ٢٠ سم.
تدمك ٣ ١٨٧٠ ٩١ ٩٧٧ ٩٧٨
١ ـ الشعر العربي ـ تاريخ ـ العصر الحديث.
٢ ـ الشعر العربي ـ دواوين وقصائد.
أ ـ العنوان.
رقم الإيداع بدار الكتب ١٣٩٥٧/ ٢٠١٨
I. S. B. N 978 - 977 - 91 - 1870 - 3
ديوى ٨١١,٩

شعر

لغة تشبهني

مجدي شندي

الهيئة المصرية العامة للكتاب
2018

مجدي شندي

لغة تشبهني

شعر

اشتهاءُ اليمام

مفتتح

للقلبِ .. هذا ربيعٌ أخير

تقول النبوءاتُ بأنك عما قريب

ستَعبُرُ صحراءَ موحشةً إلى واحةٍ

من صفاءٍ صامتٍ

غض نضير

للقلبِ .. هذا ربيع أخير

فقه المسافر في الضباب

(1)

تقول لي أمي انتبه، واسرِجْ خيولك جيدًا

واشحذْ سلاحك قبل نطق الحرف

لا تعجلْ

قدِّم ورودَك أولاً في ساحة الحرب، وبادئ بالسلام

ولا تجبنْ لحظة الوغى

أو تلتفتْ للخلف .. فالرمح يا بُنَيَّ

يشتهي ظهر الحريصِ على الحياة

كن واحدًا متفرِّدًا في العشق

أما وقت اشتداد الوغى ذَكِّر خصومك بأنك ..

ألف فارس .. إذا انتهى وقت الكلام

(2)

تقول لي أمي انتبه .. واحذرْ مصالحة الذئاب

ولا تراهنْ – ما حييت - على أرضٍ يباب

لملمْ شراع القلب إن هبّت الريحُ العتية

كن صخرةً إن حطّت أطاحت

بمعابد الأوثانِ ..

لا تخشَ انكسارًا

أو شرارًا في عيني صنم

ولا تقاتلْ فارِسًا كُسِرت قوائمُ خيلِه

أو صار أعزلَ .. من سِلاح

ولا تُغِرْ في ظُلمة الليل

بلْ انتظر الصباح

(3)

تقول لي أمي انتبه، فإن الحرف سيف

فلا تَخُضْ حربًا بسيفٍ زائفٍ

واحذرْ مُقارعة الغريب

ولا تدعْ حدودَ قلبك لغزال يرعى أو حديقة الروح مشرعة

فإن الرمح يمكن صده، أما العشق لا

فاطوِ الجوانح بعد أول مرة

واعرج بكبدك حيث ..

لايطالكما أحد.

وإذا بكيتَ أو اغتربتَ أو اضطربتَ، أو انكسرتَ أو انتصرتَ ..

فكن وحيدًا

وإن زهدتَ

أو اشتهيتَ

أو اكتويتَ بنار عشقك ..

كن وحيدًا

(4)

تقول لي أمي انتبه .. إياكَ تنسى في الضباب ..

حدود قلبك وانتبه

لحدود روحك حين يفتنها السراب

إن الممالك يا شهي الروح تفنى

ويبقى ما زرعتَ

وما رسمتَ من أيقونة للعشق خالدة

وما نثرتَ من نسائمَ في الهجير

فكن العبير

يضوع ويستقر ولا يغادر من غويت

كن البهيّ ..

في الحضور وفي الغياب

كن أنت أنت

ولا تساوم

كونشيرتو الأرواح

(1)

إذا جَن ليلي .. خانني صبري

وصِرتُ من وحشتي كذائبِ التبر

تود روحي لو تسامرها

من مغرب الشمس حتى مطلع الفجر

أوشي سماها بنجمات الهوى

وأستوي في دجاها كرائع البدر

وأستحيل ورودًا في أناملها

وأستحيل مروجا

لو صبا المهر

إذا ما ابتغت سلوى تعانقني

أو ابتغت رَيًا ..

رويثُها مطري

(2)

أوَ كلما حل المساء

صِرْتُ درويشًا شجيًّا

وحلُت في الروع روحُ ..

أبي العلاء؟

أوَ كلما جاء المساء

تلْكزَني

سهامُ لحظِك في الخفاء؟

فتثير فيّ شوقها البهيّ

قبل أن تأوي لكهف من ضياء

أوَ كلما حلَّ المساء انتابني

أرَقٌ على أرقٍ وتدفقتِ ..

كفيضٍ من سَناءْ

(3)

خبئيني الآن في حقائب السفر

خبئيني في السمر

وفي الفجر الملاوع خبئيني

وفي النوار، ينتظر الشمس كي يشرئب

وفي ساحر العطر خبئيني

وبين حنايا الورود النابتة

في جنبات الصخور

وفي السحاب خبئيني،

في قطرات المطر

وفي تجاويف نايك الحزين

في وتر الكمان خبئيني

في بهجة الأولاد حين يمرحون

في الربيع في الخريف في الشتاء في الهجير

في خشن الحياة وتنعُّم الحرير

فيومنا الشهي

في بِساطه السحري يأخذنا

إلى الخلود بنا يطير.

حين يصمت الفرس

يداهمني غبار الوقت

لا وردًا جنيت

ولا زنابق تخطف ما تبقى

من وهجٍ، كي أعيش

يقارعني صولجانُ الموت

ولا أموت.

***

ليس يموت

من يركض مثل جواد أشهب، لتفاجئه طعنات

أو يقفز من منحدر صخري شاهق، مدفوعًا بالشوق الفطري

نحو مسامرة غزال أضنته الوحدة والأشواق.

ليس يموت!

***

ويموت يموت

من يشهد أزهار حديقته تذبل.

أو عش نوارسه ينقض

ولا يعرف لغة الطير ليضمد بالحرف العاشق

شوق النوارس للمستحيل

يموت يموت

لا تطفئي المصباح

لا تطفئي المصباح يا أمي

إن الثعالب

تهجر أوكارها في الليل قاصدة

كرومي المثمرات

والذئاب يا أمي تتشهى دمي

*****

لا تطفئي المصباح إن أبي

الذي لطالما احتميت في إهابه

من العسف

والعصف

والقصف

والخوف

والخزي

والخذلان

ما عاد

وما أمره البعاد

حين يدق أعظمي

*****

لا تطفئي المصباح يا أمي

إن الوطاويط تمرح في الظلام

والأغاريد لا تكتب في الظلام

والمواعيد مع الخلد لا تضرب في الظلام

ولا غير الرماح الغادرات تُدَس في سم لتطعن أنبل

ما رأت عيناك

في وسط الزحام

******

فلا تطفئي المصباح

يا أمي

..ويبقى البنفسج

(1)

تميد به الأرض، يتزلزل الوقت، ينهد ركن اليقين بالناس، ينفض عن كعبة الأحلام عمارها، تجف المياه في النهر، تخلف النجمات موعدها، ويبقى البنفسج، لا شيء يقتل بهجته إلا رداه، يروم أنسه في شذاه.

(2)

لا تَخْشَ من النهر، فإن المصب قريب، قرب الوريد، ولكننا لا نراه

فاملأ بالماء كفيك ما استطعت، وغص بروحك في طميه قبل بدء الجفاف

سيصبح النهر ذات يوم قريب في عداد الذكريات

وقتها تهتف الأرواحُ في جزع

باكيةً هذا الفرات

(3)

أيها الحاضرُ في الغياب .. احضر الآن في المستحيل

وهز إليك بجذع النخلة دون ملامسة واقتراب، احضن سكون الليل في سطع النهار، أنبت في المدى الياسمين بغير مطر

كن على حذر أيها المستحيل، كن ولا تكن، أضِء ولا تنجلِ، املأ الأرض وردًا وأنت هناك، بعيد كالشفق وقريب كالهواء

(4)

يبقى البنفسجُ حاضرًا رغم لوعة الغياب، حاضرًا في حرفه، في اللظى الذي يشعله دونما وهج، في تأوّه الأزهار قبيل حلول الخريف، وفي انطواء العمر على ذاته ليعيد الصبا بعد شيب المفارق، لا تفارق أيها المعجون من عبق الربى وشبق النجمات واندلاع أطياف التحدي في المحن، وكن وسن العيون وهسيس الروح وقت الكبرياء.

أغاريد

(1)

في الأيام الـ بدل الضائعة من العمر

تغريد وهديل، وبجعة تقطع الشوط الأخير من الرحلة قبل أفول القمر.

فيا أيها العمر أمهل قليلاً

لئلا تكسر ظهر العطر وضوء النجوم وسحر صلاة السحر.

ويا أيها اليمُّ رفِقًا بموسى، فمَرْيَمُه تبكي .. فارغة الفؤاد، تطالب رب المياه بلطف، يصون أخاها الرضيع.

تُسَبح جهرًا وسرًا

لئلا يكسر في الروح شهوة المستحيل .. وأنس السفر.

(2)

تعبتْ وعشاؤك مني، أيها المسافر فيّ .. يا رمحًا يقطع خاصرتي .. وبعين الريم يجندل أياما سكرى برحيق صوفي .. الريم حياة، الريم ندى

لا تسلب مني الشدو رجوتك، هذا نايي السحري فلا تكسره بصمتك، هذا وردي البلدي رهين معيتك المثقلة بشغفي، هذا قيظي لا يطفؤه غير رضابك أو رحماتك، هذا قلبي لا تتركه وحيدًا يصّاعَدُ دونك .. ووحيدًا يصعّد دوني

ويا .. أيها العمر أمهل قليلاً.

(3)

أمهل قليلاً .. أيها العمرُ، فما شبعت من وسن العذارى، ولا سكر السكارى، ولا رفيف الزهر في روح الحيارى، ولا جزت البلاد جميعها أروي المحبة في القلوب، ما خنت ليلى وإن خانتني كل الدروب.

أمهل كثيرًا أيها الصبر، فأحلامي العسيرة لن تهان ولن تهون، قُدَّتْ من الدمع الحبيس، والشموع الذابلات وتغاريد النوارس، وابتسام الياسمين

(4)

ويا أيها العمر أمهلْ قليلاً ..

إن البنفسج في الأفق آت .. يلاطف قلب الضحايا

والسبايا يرقبن انكسار قيد أبي فراس

حتى يحرر بدمه "مغارة الكحل" من ظلامها

أمهلْ قليلاً .. فيتم البنفسج عار، يجدرُ أن تتقيه

ويشرق نور من لؤلؤة تختزل البحر، يضم بقايا أوزوريس ويلثمها، فيعود كأن لم يغب ..

يؤانس وَرْقاءَ كعنقاء تبسط جناحيها باتساع السماء واتساع الوهج.

تنضح في وجهه ماء وردتها، يتبسّم.. فتظلله كأن لا أحد بالكون إلاه.

يبسط العائد أساطيره .. ليختارها، ويختال ..

عرشه على الماء، عرشها من ألق ..

وضمي رفاتي إليك

إذا أنا مت

اجعليني كُحلاً لعينيك

الحالمتين

بدفء حياة مؤجل

ضعيني وشمًا بصدرك الحر

فإني عشقتك حتى ثمالة

يومي الأخير

ولها أعاصيرُ الولادة وبهجة المولود لي

ولها زرعُ الرُّبى بأغاريده وضناه

والمشي لي

على بسط الحرير وأقاحيّ السهول.

(1)

فلتغب ما شئتَ إني حاضرٌ في غيابك، حاضر في حضورك،

تنثرني "سطرًا فسطرًا" باتجاه الشمسِ، وعطرًا فعطرًا باتجاه الليل، ونهرًا فنهرًا باتجاه البحر

فيلْضُم البعد أشواقنا كي نعود خفافًا كما تفعل الطير

وخماصًا نتشهي المستحيل.

(2)

ونور الروح، بعض يقين ..

يعانق بؤس الحياة ..

يغيض بالكَيدِ بعيدا إلى عدمٍ لا نراه.

يروض برائحة العشق النفوسَ الكواسر

لا شجرة الخلد تغري

ولا فتنة الأرض تغوي .. المسافرْ

فيا أيها الغائب عني .. الحاضر في

إليك أهاجرْ

(3)

فلتحترق ياغائبي إن رمادك ينجبُ..

زهرًا وفلّاً

ونورًا وظلاً

يؤجج بالشوق نجمًا بعيد المنال ..

به أكتوي

ويرسم في الأرض نهر زلال ..

به أرتوى

ويا عنقاء ترد للروح .. عطرًا قديمًا

كأنه الأزل

أيها الحاضرُ عني .. الغائب في ..

متى أكتمل؟

(4)

وكان جدبًا..

فلما تجلَّيْتَ، صار الزمان رُوِيًا

ما عادت الأساطير تروي أخاديدَ خلفتها الريح

فالندى يلاطف الروح في غُدوّها..

وَعَشيًا

من ذا يطالب أن تعود، إذا رجعت فمن أكون

أنا السميُ أم البهيٌّ أم الخفيٌّ أم الوليٌّ

أنا الصبيٌّ المرتجى

أم التقيُ المستهام المستضيء المستجير

أم الشقيٌ، ذا الذي نبذته الأساطير، نزفته الأغاريد

ولا يلاقي نَجِيًا.

إني أتنفسك الآن

فهبك تجسدت

كيف أعيش بدون هواء

(5)

* تُرى لو علم أننا ننسج الأساطير، نهم بها .. تهم بنا

نعيد صياغة قصة يوسف

يُضّحي الملاك المتوّج بالقلب دون إثم ودون أن تُغلقَ أبواب أو يقدَّ قميص

هل يعود؟؟

* لا تقطع النسوةُ أيديهن إذ لن يراه غيري

سناه محتجب في الحرف وعزم الأشداء وانكسار القيد عن الروح واحتمال المكاره ونبل مثل كريم السحاب.

* يعقوب لم تبيْض عيناه من الحزن، فأنا التي تلعب الدور وتحمل كل المكاره عن شخوص الرواية

* أنا من يدخل السجن

ومن يلام لأن الذئبَ كان يريد أن يأكلك

لن تباعَ يا يوسفُ ثانيةً بثمن بخْس، فثمنك عمري ..

بل تملك الأرض شرقًا وغربًا، وتسجد لك الأقمار لتقول هيت لمن تشاء

فتأتي.

* وأعرف أنك لن تعود

مهما هتفتْ في الدجى اليمامات، فأنت محض خيال تجلّى وابتلعه ظلي

الساكنُ قلبي.

* لا تلمني إذا ما أحرقت ياسميني

كي تبعث ثانية محض روح ..

تعانقني مرة ..

ثم تموت.

كم نعانقُ من زهور في الحياة

وعلى عتباتها .. نذبل كالنسيم

أو تجف تاركةً

شذى في الروح

لا يأفل

أوزوريس .. انتظرني هناك

ولا تتسربْ إلى حناياي مثل النسيم

ولا تتسربلْ بالدمع بين الجفون

ولا تتأرجح في ذرات الهواء المحيط

لتسبي العيون

فإني أجيء

حين يفاجئني الربيع

وأنساب مثل قطر المطر

هذا طريق البحر فانتبهي

موجُهُ كالجبال

ظله كالمحال

ضووُءُهُ في حنايا القلب مغروسٌ

يثمر الوله

وفي الأحداق مسبيٌ كأنّهُ

سراطنا الوحيد

لا تفزعي

إن وجد الروح قاسٍ

وبحرُنا بعيد

This is the Road of the Sea.

Watch out!

High as the mountains are its waves.

Dark as the impossible are its shades.

In the twists of the heart

Its light is implanted,

With yearning as its fruit,

In the eyes it ‘s enslaved

As if it is our inevitable path.

Do not panic!

The Ecstasy of the soul is ruthless.

And forlorn is our sea!

(الترجمة للدكتورة منى النموري)

.. ويرحلون

بيض الوجوه يرحلون

مكللين بالشوق الذي يزاحم الهواء والندى

فوق الجباه

والسنا الذي يبدد الظلام

في اللحود

بيض الوجوه يرحلون كالبدور

إذا انزاحت سحابة الحياة

ومستهم يد الإله بالكرم

في نعمة – لا ريب – أنستهم

ما مر على أديم الأرض

من نعم

وحدي أصيرُ

كما كنت في الغيب

وما من حضور إلا بهاك

والغار تسكنه الزوابع

وظل أصحاب قدامى

سقته الريح كأسًا من فناء

وظلي يعاند ظلي

لأجرع وحدي كل الكؤوس بغير نديم

فسُقيا لأيامك خلي الوفي

سُقيا لأيام الندامى والخزامى

والصفاء

أمي

كان يغَارُ من لطفها الندى

حين ترق

ويسلم الهديل لصوتها العرشَ حين تبدأ التسبيح في السحر

وكانت للروح مطرٌ يسَّاقط

يحيي زروعي وِرْدا فَوِرْدا

يفجر فيّ الينابيع حتى أفيض فراتا

وأستحم من درني في عيونها

فينجلي دري

ولؤلؤي المكنون

***

وكانت سمراءَ

مثل النيل

فلما استراحت فوق كف الإله

استحال الطمي شمعًا

يختال في كفن

***

(أمي

ظلت تنتظر فتاها ليكلل جيد العمر بباقة ورد أخيرة

لكن برد المطارات حرم عينيه السادرتين في الغياب شجن الوداع

وكان لديها موعد غرام أبدي مع أمها الأرض لم تستطع - أن تخلفه -)

***

أمي

يا بنفسجًا يطل من فوهة الغياب

رغم السنين العجاف

أحبك

بكل ما يحمل الكلام من وهج

وما يستطيع جناح المعاني العروج إليه

من شوقٍ واشتهاء.

قاوم

وقلتَ لي: قاوم .. فقاومت

وقلتَ: اقهر صعابك، فعبرتُ جسر الموت مرتين، وعدتُ

لئلا أرى دمعة في عيونك

الآن دَوْرُكَ فاصمد كما أوصيتَ .. وعُدْ

واكسر طوق موتك، فكم صَرعْتَ أطواقًا أشد .. وعدت منتصرًا.

رجوتك لا تدعني أقاوم – حسب وصاياكَ – وحدي

فإن ظهريَ عارٍ ..

بدون يديك.

صهيل

ولها صهيلُ الأعاصير

وعصف خيل الأساطير

إذا توحدت بفارسها ورمحها المشتهى

ولها الهديل، والصفو المعانق حد البدد

ولها الآباد تقطعها،

والشموس تعانقها شمسًا فشمسًا،

والأقمار تطويها في جنباتها

همسًا فهمسا

ولها البحار حين تفيض حتى يقال:

ابلعيني

بمائك يا بحار

اجمعيني جواهر في محارك

واكنزيني برفق مشتهى حتى

يغيض الماء

ويقر السفين.

تمارين في انتظار الحياة

تتسامق

كي تصبح مثل البان، إذ تعرف أني أعشق قدًّا ممشوقًا

تتأنق مثل فراشة

ترسم حاجبها بدلال

كهلال

يلمس أفق الروح

ويضع حدودًا للعينين الصافيتين الثاقبتين كعيني نمر

والمُشبِعَتين كماء الكوثر

وتمشي كغزال بريّ

تتخيل أني أتعقبها في غابات ممطرة نورا

تتثنى بدلال حتى تتفلت،

تسمع أنغامًا في الألحان البشرية، في القرآن، لتسمو وتشفى

وتُصبح أبهى

من حورية.

تتعلم فن العزف، وكيف تُفَتِّحَ أحبال الحنجرة لتبلغ عمق الروح

تتعلم فن الرقص، وكل فنون الإغراء الموغلة بأعماق الأبدية

لتصبح يومًا أشهى من تفاحة آدم

وتغني: ها أنا ذا شجرة خلدك، فتنعّمْ

وتخلصْ من سالف بؤسك

بملامسة ردائي.

نوستالجيا عاشقين

قالت: أحتاجُ إلى فارسٍ ساحرٍ خارقٍ ملهمٍ

كالبرقِ ..

حين يركب البراق

كالعطرِ

يَضُوعُ فيّ

أضوعُ فيهِ

نضوع فينا

كالنسرِ يصطاد غزلانيَ في الوديان

يصّاعد بي ..

نحو القمم اللا مرئية

يصوغ قمرًا كامل الأوصاف، ويغنّى لي

فيلهم العشاقَ حتى يومِ يبعثون

قلت: وما جزاءُ من وُجِدَ .. في إهابه؟

قالت: أخفضْ له الجناح

به أطيرُ كمليكة

أُتَوّجُهُ

فوق الجبالِ والوديانِ والسهول

حتى يُفتَتَن، وأُفتَتَن

قلتُ: ليتَنِي كُنْتُهُ ..

ليتهُ كانَنِي

أفول

على مَهَلٍ

تنسل من الأيام وتتركني

لدوار الروح

تتابطني نجمتك السكرى لأعدو خارج المدار

وأنا محتار

إذ كيف يطاوعني قلبي أن اتشظى

حين ألامس أرضك

أنا الذي قبل مساء قصي، كنت نجمها القطبي

وسيدًا للمجرات البعيدة

غدوت أُمثولة للتشظي

وللحكايا الراحلة

والأقمار الذابلة

كان هنا .. ما عاد

عاد هنا .. ما كان

ولا مكان للذي طلق المدارات

وعاش فردًا من وهج

هيلين تتحدث

---

(1) وعد

باريسُ

إن عذب لقائي سينسيك أيامًا يتيمة من لقاء

تخيّل تلاطُمَ روحك حين ترق الأميرة ..

وفي لحظة صفو تقبل منك اليدا

وتنتر الفراشات فوق حناياك، تضرب مع الحظ لك الموعدا

فلتطرح الآن عنك، هم الحياة، فإني ابتسام القدر

وإني اندلاع الصبا في الروابي

ورعشة الروح قرب الوتر

وفيض من حنو السماء

(2) رقصة الفراشة

ليَ المجد وحدي

بوَصْلي .. وصدّي

بهمهمات سُهدي ..

ومشعلات وجْدي

بشوكي المعانقِ حد العذاب المقيم

وحين يعانق حَدَ الفراديس ..

وردي

وأنت يا باريس المتيّمُ

بمساميري حين تدق في زنديك

فوق الصليب

كيْما تذوق شَهدي

وبابتهال عينيك الصموتِ الذي يسابقُ في العشق .. تراتيل وِرْدي

لـيَ الـ

خُلْدُ

وَ

حْ

دِ

ي

(3) الجسر المسحور

على جسر من ضياء شفيف تجليتُ

تساميتُ فصارت روحي في جناح ..

وجناحي زغب خفيف يحط منتشيًا بسحر أناملك ..

ويسكر بالعطر المنساب من الغيب البهي

في آخر الجسر عدت لذاتي، فخارت قواي

لم تكن أنت الذي يعبر الجسر، وكنت سواي

كائنان من وهج كنا .. وثالثنا القمر

(4) توحد

إن عشت يا باريسُ سأحتل المسافة ..

بين جلدك والعظام

إن مت سآتيك في الماء والهواء ولون الزهر، وعزيف الأوتار

وصداح الطير وحفيف الشجر المسبح ..

وأشرق دوما في تراتيل الختام

وأحل فيك ، تحل فيَّ،

نحل في لحن شجيٍ مستدام.

طريق مختصر إلى البحر

(1)

هذا طريق البحر

لا يُفْضي لغير الروح .. والحور

وراحلتي إليه الموجُ، غايتي بيض اللآلئ

أو وردةٌ بيضاءُ قابعةٌ

بعمق الغيب

لم يلامسها قبلاً جِنٌّ

ولا إنسان

قضيت العمر أرْقُبها

وهي تراوغ موتها حيناً

وحينًا تخدع النسيان

(2)

هذا طريق البحر، فانتبهي

موجُه جبالٌ

وظلهُ يمتدٌ كالمحال

شوكهُ في حنايا القلب مغروسٌ

يثمرُ الولهْ

وفي الأحداق منسيٌ كأنه

سِراطُنا الوحيد

لا تفزعي إن حاصرتك مواجدُ الروح

فبحرنا بعيد

لكن خلفَ البحرِ

ظلُّنا المديد

(3)

هذا طريق البحر فانسجمي مع الأشواق

كوني دُرًه المكنون

كوني عشقهُ المجنون، والسلوان للمشتاق

كوني ماءه المسكوب يغْسِلُنا من الدنيا

كوني فلكه المشحون بالترياق

فبحرنا يا فتنتي بهيٌ

لأنه الأبدْ

وبحرنا شهيٌ

وغيره بَدَدْ.

عيناك

علمتني عيناك أن أمشي على مَهَل

وأن أشبع الأحداق من نبتة الأمل
في كل ركن قصي منك أغنية
وخلف دمع توارت رقة الغزل
هذا المخاض عسير لا تتوجعي
فكم خشينا ولادة بدر غير مكتمل

*****

علمتني عيناك أن أمشي على مَهَل
وأن أرتقي في هواك أصعبَ السبل
في كل قرب قصيٍ منك أغنية
في كل دمعِ شجيٍ ينبت الأمل
إني تمام الروح، عَنّي تصبُري
ما ضرٌّنا بُعْدٌ، لو أن يومًا قريبًا رُبّ نكتمل

*****

علمتني عيناك أن أمشي على مَهَل

كما تَمسُ المراود حاجب المقل

أدنو من الروح، ألمسها فتعشقني

وتستجير من الرمضاء بالظلل

تهفو إلي كأني نسمة سكرى

أهفو لفردوسها كزاهد وجل

تغربين

تغُربين فتنطوي الروح على ذاتها

كأسطورة تعاف الاعتيادي

تكره الشوق المصحر

والقاتل العبثي

ووحشة الزنازين

والتئام الجروح على

داء دفين

****

على قرية غاضبة ..

تغربين

فتخرج الحيات من جحورها

والضباع من أوكارها

ويهجر الليل أنسه، تاركا الظلم والظلاما

فلا تخرج يديك – يا نديمي - لن تراها
وأترك نافذة السحر البهي موصدة
لئلا يسمع عشاق هذي البلاد
صوت الأنين

وحشيٌ هذا العالم .. حتى ثمالة كأسه
لولاك
ما رأيت - عند نهاية هذا التوحش - فرخ يمام
وحين يئز الرصاص، في كل الجهات
ينبت من كفيك
غصن سلام
فضمي إليك مثخنا بالطعان

علّ الجراح تهونُ

وعلّي

على ضفة الشوق

لكون رحيم

أنام

عزف متأخر على وتر "نزار"

ماذا جرى لنيلك المسحور؟

والفل في عنق الصبايا

وحكايا الحور في صعيد مصر

والمدن

ما الذي يجرد البهية من بهائها

ويقطع الطريق منهيا أَرقّ ما هدل اليمام

خمسة آلاف عام

تمصرين كل من نحوك .. يعبر الدروب

فمن ذا يسود ساحتك البيضاء؟

ياانديمة الزمن.

بغير اتجاه

يطير وحيدًا .. بغير اتجاه

باحثًا

عن أنسه المفتقد

يطير يطير

عابرًا المساءات الحزينة والمحيطات والأنواء

تشده أنوار الفراديس

من لظى المسد.

يطير إليك ويهرب منك

يعاند أقفاصه بين الضلوع

ويسمو إلى حيث أنت

تحلّقين، نافرة من حنايا الحنين

عابرةً كل هذي الغيوم

مُرجعةً صدى الأمنيات القديمة

بألا نعيش أحلامنا حيث نموت

وأن ننطوي على حلمنا

بانتظار الأبد.

أمنية

في يوم ما

سيطيب الوقت لنا

ونغني ملتذين كإلف يمام

نطوي هذي الأرض وما قاسينا

في بسمة

أو رشفة كأس يشبه ملمسها شفة الحوريات

لن نخشى مطرًا أو إعصارًا أو مجهولاً

فاليوم الممتد كأبد يتلوه الأجمل

يتلوه طواف كالسحر

بعرش الله.

تشابه

أنا وأنت شبيهان، تكافح الغيوم أكافح الضجر

تعتلي خيل النجوم وأعتلي خيلك المفتون

ساعة السحر

ويخفينا سحاب مزعج

أنت تختار الأعالي

وأنا أغرد لأُسمِع من لا يسمعون

وأطرب من لا يطربون

***

شبيهان نحن، فلم اخترت أنا هذه الأرض اليباب

ولم لا أختفى – كما تفعل باقتدار مبهج -

خلف سحب ممطرة؟.

جموح

ويهم القمر بأن يحتضن الزهرة

فتولي وجها نحو الغيب

يستدير

على شجوه

تاركًا وجهها نحو وميض بعيد

كان غازلها سنينا فصدت

وفي لحظة هفت نفسها

للوميض

(2)

تتابع مهجته سطرا فسطرا

تتأوه من فرط اللوعة

حين يكف

وحين تدور رحى الشوق إليها

تشكو نفثات العطر وتتململ.

على ضفة الشوق يفنى الانتظار

وأبقى وحيدًا لحين اكتحال النهار

لا سيف ولا فرس

ولا وردة بيضاء لا حرس

ولا خيمة باتساع عيونك

تقي وجد العواصف.

خمسون عامًا وأنا في مفتتح العشق
فكم عمرًا أنا أحتاج حتى أبلغ منتهاه
خمسون عامًا
لا في السهول الجياد استراحت
ولا ورودي بسرها باحت
ولا النوارس تبلغ ما تشهت
من رحيل
على هذه الأرض ما نشتهي ..
عليها ما نكتوي بلظاه
على هذه الأرض ما يشق الروح ضغثا فضغثا
وحلما فحلما
فتنداح أرواحنا شظايا

في فجاج بعيدة

وتبقى القصيدة

تاريخنا الشفهي والمسلوب

من رحم الحياة.

أريده .. ذاك الهواء الذي يحيط حبيبي
شذاه المتناثَر في المدى
آثار أقدامه فوق الشطوط
بصمته التي يتركها في المطارات
صدى صوته في السحر
الأيادي التي يصافحها وفت اللقاء ..
ووقت السفر
العيون التي ينفذ للروح منها
أجنحة الخيال التي تحمله إلىّ
وتحملني إلى شهوة المستحيل.

سأصير يومًا ذلك النسر المحلِّق في الفضاء

سأصير يوماً سوسنة

سأصير غيمًا يقطع البلدان حتى ترتوي من فيض روحي

سأصير واجهة لمتحف التاريخ، سنبلة تطعم الأيتام، أغنية السارين نحو الفجر، ترنيم باب الزنازين حين تهيئ نفسها الأغلال للرحيل

وغضبة الأحرار وقت العصف بالجلّاد.

الميم مجد لا يزول، والجيم جاه لا يطاول، والدال دفء الروح حين تعبر الأزمان عائدة إلى المهد القصي، والياء يمامة تحنو على عشاقها، فتبدأ بالهديل.

من أقوال اليمام

(1)

خبئيني من الضجر

واحك قصتي .. للقمر

واحرسيني بعينيك

من الحزن المعتق

من تفتت الروح

فوق المنحدر

والثمي وجعي الشهي

ولذائذي المسكونة

بابتسام الياسمين

واقرئي ياسين

إن اشتاقت يمامة مشجونة لعشها الشجي

وارقني بالبنفسج

إذا غيّبتني سراديب البصيرة عن ناظري

فتّشِي عني

بين قطرات الندى

وبسمة النوار لحظة الشروق

إني أضوع عطرا في المدى ..

في لحظة التئام الصوت بالصدى

وخبئيني

من الضجر

(2)

خبئيني

من غبار الحرب

من الطعنات الغادرة

واسرجي فرسي

لأقاتل الفرسان دون سواهمُ،

وأكسب حربا تليق بعينيك المنافحتين، ووجهك الرؤوم

واحفري بوهج الروح سلّما إلى مفازات عشق

ما خطرتْ على قلب.. ولا أدركتها بصائر

علّي استريح ولو ساعةً، قبل سفري الطويل على جناحيك.

من وعثاء البشر.

خبئيني

من الضجر.

رغبة

وتذوب تذوب

كشهد فوق شفاهي

يخرج لآلاءٌ من قرص الشمع

ثم تعود إلى سيرتها الأولى قمرًا فضيًّا

يأبى أن ينصاع لشمس الرغبة

تتساءل : هل تعرف ما الحزن؟

أربت كتفيها بحنو لأقول بغير لسان: الحزن أن نصل مدارات الفرح، نلامسها، ثم نعود أسارى صوم أبدي

هدهدة

يغني المغني..

فيطرب من يسمعون..

ووحده للجرح يذهب

فلا قمر..

يعاين جرحه الموصول بالأشواك

ولا كوكب

يؤانس ظله المنفي في الأحداق

أحزان نوح

---

(1)

وعلى ضفافِ الشوقِ تجثو غزالة

مُرجِّعة صدى الطوفان

ونوحُ يعاقر الأحزان ..

ولا يدعو الغزالة للسفينة

(2)

ووقتَ القربِ تعوي الريحُ

فيطوي الوجدُ أشرعةً تمناها

ويهدمُ كعبةً للروح ..

كنا قد بنيناها

ولا يبقى سوى التبريح

(3)

ونوح يصيح:

أيا قلب الغزال اثبُت

ولا تجزَع

(4)

ثم يغني:

وحسبي أَني ارتحلتُ في الروح

جُزتُ قِفارَ السنين الطويلة

وزرعتُ سنبلةً هناك.

ورأيتُ عرشَك المُخْضّر مُنتظرًا

وسنابِكَ الخيل الصهول

تحن لي.

عشق

- هل تعشق هذي الأرض؟

- أعشقها حد النزف

• وهل تعشقك الأرض؟؟

- لست أبالي .. فالعاشق لا ينظر إلا داخل ذاته / لكن وعدت أن تجمع يومًا نزفي ونداي، وقالت: زدني عشقًا أوزوريس

• أتصدقها؟

- هي بعضي، بعض خطاي الشاردة، بعض صباي المتسرب في ملح حشاها، والمتلألئ في قمر شبابي المنفي، نغمة صوتي الضائعة والريح المرسلة من أزمنة الخصب إلى زمن الخصيان.

• ماذا تفعل إن نسيتك يداها في زحمة عشاق كثر؟

- أصبر حتى ينكسر الضوء ببلورات الكلمات ويلامس جوهرها / وحين يلامسه حرفي أغدو ملكا

• أو تبغي الملك؟

- العشق خلود ياولدي، العشق بدد .. العشق حلول في المحبوب .. والعاشق تحسده التيجان.

عصفور

قلبي عصفور ..

يتحامق أحيانا ويطير

فوق محيطات لا تعرف يابسة أو أشجارا

لاغير جبال الثلج يلاطمها بجناحيه لكي يرتاح

ثم يغادرها قد أضناه الماء البارد

وبرغم الأجواء العاصفة .. يطير يطير

ولا ييأس

قلبي عصفور

****

قلبي عصفور يتغنى

بجنين السحب المخبوءة خلف الأفق اللامنظور

ينبت قمرا من صوت الشدو

ويصدق أحلاما تحتاج مئات الأعوام

يجتاح بجناحيه الصعب ، ويكسر كل الأقفال الصدئة

ينبت آلاف الأقمار في بطن الديجور

قلبي عصفور

****

قلبي عصفور من ألق

يتحدى الموت ، فينبت ألف حياة

للثوار الشهداء ، ينفخ روح البهجة في روع التعساء

ويحول هذي الصحراء الممتدة مد البصر

مروج رياحين وزهور

قلبي عصفور.

مبارزة

مهما تسللت أيها الشيب المخاتل / سأبقى ذلك الولد الصغير / أنسج الأحلام من نور القمر / وأراود المستحيلات عن نفسها / فإن استعصت تسعًا وتسعين مرة / ستأتي في المئة.

لن أرفع رايتي يا أيها الشيب / بل سأجعلك تشيب من عزمي / فافعل ما بدا لك / سأرحل واقفًا / كسنديانة أبية عصية / لا تنحني

من يبذر الأحلام لن يخيب ..

من يزرع في كل ضعف ثورة / في كل قلب وردة / في كل سهل نبتة من عنفوان/ في كل غيم وعدا بالغد الآتي / هو المقاتل

فلتبتعد يا أيها الشيب المخاتل

(1)

وأشعر أني أرتل نشيد إنشادٍ لعينيك علّي ..

أنال اقترابًا ليوم يتيم

فذاك ختام يليق بعمر شجيٍ..

كعمري

(2)

وأشعر أني أغرد تغريدة لا بعدها

فليس بعدك بعد

ولم يك قبلك شوق

يغري بجعات شعري

بأن تضرب سقف السماء البعيد

وأن تمرر عنق الوقت

فوق سيف الخلود

(3)

وأشعر أني الغريب الذي خادع العمر

كي يتسلق ضوء النجوم

وأني القريب من الروح .. قرب القمر

وأنك عين المحال

وأشعر أني ظل يتيم لريحانة ..

تخشى الوجود..

وتخشى الزوال

مفتتح

وقلت ابلعي ماءك يا أرض / لم تبتلع ماءها الأرض / ابتلعت ظله / فغدا طللا

صهيل أول

راودته القصيدة عن نفسها، فغاص في بحارها / هنا ياقوتة بانتظار فتاها / وعلى شاطئ الميدان ثورة

رأى الفتى أنهما حياة

فكانتا الردى..

لم يعد من يومها يهتم بالأحلام

بعدما

قُد قلبه

.. وانشطر

صهيل ثان

تشيخ السموات وتبقى/ هناك في الأفق نجمة لامعة / بانتظار طوفان يطل لتلهم السارين أن/ ختام الختام بدء الحياة / وأن النوارس تبعث يومًا / مغردة كأن الردى لم يكن.

عاد الفتى ثملا وظل عقله هناك/ وراء الغروب / فوقه شاهدان / ياقوتة وثورة

صهيل ثالث

من أنبأك أيها المغرور / أني رحلت / فأنا هنا وأنا هناك / حياة قبل الحياة / وردى يميت الردى / ياقوتتي لي / وميادين الحياة ملاعب خيلي.

تعود إذا ما أشار بناني

صهيل رابع

أراقب ظلنا تحت المصابيح سنينا .. يجتمعان قليلاً يفترقان طويلا، الآن لم تعد مصابيح الشوارع تحفل

بالسائرين، تضيء نفسها لنفسها، فلم يعد على الأرض ما تشتهي.

والشوارع لم تعد تبادلني الابتسام

فظلك عنوان روحي.

صهيل خامس

تبتلع الميادين طموح الثائرين / وتبتلعين جرحي وجرحك / تبتلع الشوارع ظلنا / والطوفان نوارسنا / والمطارات أحلامنا / ونجمة بعيدة تطوي في يمناها / سموات الغرام.

تطير حمامات روحي ألف عام

ولا ترتوي ..

فريها ياقوتة وثورة .. محجوبتان

بشاهدين من رخام.

معاينة هواء خفيف

هواء خفيف سرى في الروح، أيقظ الهمم القديمة، وألقى وردة في اليم، ولا مرضعات!!

يا فالق الإصباح سخر لها وطني، فهواؤها دمي، وبسمتها الخجول نجمة الساري إلى حيث المتاهة والبلاد المقفرة

إني انتظرت طويلاً، جيلاً فجيلاً، عاينت كل الزنابق واليمام والسحب البيضاء والأشجار، طرت في الأسراب وغردت وحيدًا أبحث عن شفاء الروح لا جدوى، عن شفاء الحرف، يشقى الحرف ولا يرتد نبضه بصيرًا

ليت هذا الهواء الخفيف يسكن أضلعي

علّي أرى إن كنتم يوما ألقيتم يوسف في الجب،

هاتوا الآن قميصه .. وألقوووه على عيني.

أغنية ليارا

إلى يارا رفعت سلّام التي ما عرفتها يومًا، لكن قلبي آنس ظلها

ويؤنس اليمام ظلنا

الهائم في ميادين توشي بالبنفسج روحها

تشكو اغتراب العاشقين

مساء الخير يا يارا

على دمع عصي

مساء الخير يا إيزيس

لكم جمعت يداك ..

دمي

وها قد عدت كالعنقاء أنضو ثوب موتي.

ووجهك المسبي يا يارا

يحررني ..

من أسطورة العدم

أو تجمعين كل هذا الحب يا يارا

لعجاف السنوات الخاليات الخائبات.

أو تكشفين بالوجه الصبوح، زيف المترفات الخادعات الصائحات في وجوهنا: توقفوا

وتطهرين السجن من أدرانه، فيصبح كعبة للنور في أرض الكنانة

"قسما بعينيك التي" تجلد السجان لن نرضى المهانة.

فوجهك النوري يعصم الأرواح من أغلالها

تبسمي يا عاشقة

فالعشق نور للحياة

والعشق تاج للجباه

والعشق..

يارا ..

لغةٌ تليقُ بي

بسملة

مفتتح

بسملي .. واقتفي خُطى الأولياء

غرِّدي، وانشدي

للبهاء

وشدّي وثاق الحروف إلينا

إن نوازل الأشواق تأسرنا

وتمضي

(1)

حواني درها المكنون

أنا المفتونُ بالحرف البهي

وباختزال الياسمين

أنا آمين فاتحة الكتاب

وياء النبيين،

عين العاشقين

أنا المفتون باللؤلؤ

أنا المعجون بالشوق الشهي

وباكتناز نفخة الروح العصي

ليصير آدم المغوي - مرة أخرى - سويا

لا تفاحةٌ

تراود شوقه الغجري

ولا سوءات حواه ..

تكدر عيشه الأبدي

في الخلد

(2)

تنسابين كالعطر لؤلؤة

فلؤلؤة

فلؤلؤة ..

بلا انتهاءٍ ..علي يديّ

أنظمها، أروّي شوقها لمساء فاتن

وسماء لا يجاوزها

بشرٌ

إليّ

أحوال

(1)

تصفو

فيحل سلام فوق الأرض المكدودة

يتثاءب حلم بعد رقاد طال

وأدرك أني أتنفس

دقات القلب تعود ببطء

أفتح عينيّ وأغفو باطمئنان

(2)

تترنح

من وجع الضربة في الظهرِ، تقاوم

أحدوها، وتبث شفاهي الأمل بعينيها

تتبسم

تهمس لا تقلق

سأكون بخير

(3)

ترقد

في غيب الأحزان فأسقط

في جُب النسيان

أمدّ ذراعي عبر صحاري وبحور مالحة وجبال

وأعود بخف حنين

مثقلة خطوي

لم تدرك كفي أنملها

أتأوه

تمتد الآه بعرض الأرض

ولا جدوى

(4)

ترحل

يرحل ظلي

أبحث

أبحث عن خيط ضياء لتعود

تعود تطيب جرحُا

لا وجع يطيب بغير الضوء وغير الظل

(5)

مضناة

ترقد روحي فوق التل وحيدة

حتى الأنداء تخاصمني

والمطر يجافي جدثًا كان حديث الناس

لا تكتب بعد الآن فحرفك قض مضاجع موتـي

فليمت الحرف

ويحيى الصفو

(6)

ترِفٌ

يرف القلب

أحس بأعضائي تخضّر

أنظر، فإذْ الأغصان تظلللني

تتمايل لتماهي نغم الروح وأنبعث

أراقص في صمت شجرة صفو

عشقت يومًا عبق رمادي

(7)

(عشقتني

بالخنجر

والهجر

بلادي)*

----

* البيت الأخير للشاعر العراقي الراحل مظفر النواب

بلا أمس ولا نقص

(1)

لا أمس لي

لم أمش على الماء

ولا شقّت عصاي البحر

ولم أقد جموع الشعب في السبع العجاف

لم أتل تسابيح لطوق نجاة من بطن الحوت

المتمدد في أعماق بلادي

لكني مختبئًا كنت أرتلُ

لغد يغتالون، على مهل

فأصير بلا ماضٍ أو مستقبل،

معتقلاً داخل ذاتي

(2)

لا شعر لي ولا ديوان ولا تُوِّجْتُ أميرًا

حرفي وجعي

يأخذني العشق لفردوسي الحالم

أصحو، فإذ الكون مليء بالظلم وبالظلمات

أمشي فوق سراط الكلمات

لأصادف ذاتي

(3)

لا صَحْب لي

كل الذين صَحِبتهم سقطوا على جسر الظُّلَمْ

وبقيتُ مُسْتَوْحِشًا وحدي

إلا من الفِكَر الضواري والألمْ

يا وجْهيَ المحفور في الصخر الأشم

كل الذين عشقتهم ركضوا

مع الشجن المورق في عيني أو ماتوا

فَدَعْ للبحْر

(فوق خرائط كفيك مجرى)

رجوتك أطلق سراح النجوم

كفاك اختباءً وراء الغيوم

كفاك اكتفاء ببرد القمم

(4)

لا ذنب لي

سوى أنني لم أنحن

ولا هالني سيفٌ

ولا طابَ لي بريقُ الذهب

أتوق لأترك الأرض يوما، بلا حاقدين ولا عاشقين.

فدمعة تراق على رحل المسافر، إلى روحه، سدى.

ولن يقال كان.

فالذي يميته الشوقُ ألف مرة في اليوم،

لا يموت وإنما يُقِرُّ عينيه السفر.

(5)

لا عمر لي

إن قاومت الكلمات قساوة هذي الأرض المالحة، أعيش

في أحيان أصبح إكليل زنابق بيضاء تتوج هامات العشاق

في أخرى،

أخفت كشموع ذابلة وقت فراق.

(وصية)

أرتل الآن .. الوصية

فكونوا الصدى الغجري لي يا أباة الروح

كونوا السماء وما أظلت من وهج

والأرض وما أقلت من رياض مشتهاة

كونوا الخلود، حين تنسل تحت أقدامي الحياة

واغزلوا بي خيط شموس

على الأفول عصية

(قمر)

قمري يطل الآن على الأرض

فاملأوا به العيون

قبل أن يغيب عنكمو ويختص قلبي ..

بالوضاءة

(كنه الحياة)

شيء تغيّر فينا

ما عدت أنت كما كنت يومًا

ولا أنا استويت فوق عرشي القديم

شيء تلألأ في مهجتينا

وأنبت وردًا نديًا على راحتينا

ولحنًا شجيًّا نراوده عن نفسه كل حين

شيء تغير فينا ، تجاوز بالروح حد الخيال

فصار المحال أقل القليل الذي نرتضيه

وينداح واحدنا باحثًا عن نصفه

ولو في لقاء لهوف وبسمة خاطفة

عرايا إذا ما افترقنا، يجرح النسيم ظلنا

واغتربنا، وما بيننا غير مد البصر

شيء تغيّر فينا، فصرنا أرق من السوسنة

وشفنا وجد، فَتُقْنَا إلى سجدة تحت ظل الإله

نضوع سويا كعطر رهيف

وحين تلامس كفك كفي

نلامس كنه الحياة.

الخيول

قيل لي: إن الخيول الصهولة لا تعبر الطريق مرتين

قلت حسبي أنها عبرت،

ضمت بحوافرها الثرى وتركت ندبة في الصخر لا تنمحى

وما أبقت لغيرها تاريخًا

يكتبه بعدها .. الفاتحون

**

قيل لي: إن السحابات تمطر مرة يتيمة في عمرها الشهي

وحسبي أنها أمطرت، وأثمرت حنينا

فمنحت كرومها وقت القطاف.

**

قيل إن اليمامة لم تختص غيري بالهديل الشجي

فكنت الوتر

وكانت لحني الشجي ساعة السَّحَرْ

(ختام)

وماذا أقول وأنت الكلام

وكيف أحول عنك عيوني ، وأنت البصر

وأنت المقام الأمين وأنت السفر

وأنت حنايا الروح ، الشغوفة نحو المعالي

وطوق النجاة بوقت الخطر

أسافر منك إليك ، وأهجر ذاتي حنوا عليك

فمنك البدء ومنك الختام.

حلم

وأحلم أنـي

عدت كما كنت يومًا

بريئًا

كفهدٍ صغيرٍ يلاطف ظبي البراري

يسابق عطش الشواطئ للموج

ويسرق وحشة عين اليمام الغريب

لئلا يرتـاع منـي

وأحلم أنـي انتبهت علـى ربوة من سلام

وقمرٍ أخضرَ لم يلامس ظله حزن

ولا راعه دمع عصـي

وأنـا أهتف: توقف

أيا زمن البراءة

ولا تأفل بالصبا المروي من روحي الطهور

تمر الدهور

يظل يراودني طيف قديم

وأحلم أنـي

عدت الصبي.

فراق

زمني .. شوكي الطلعة
يصخب بالضوضاء الفارغة
وأنا المضنى بالرقة
والمحمول على موج من ألق
يبحر في عمق المعنى
فماذا يجمعنا ؟

إشارة

خفيك ظاهر لي

وظاهرك خفي عني

أراك بعين تجاوز كل العيون

وأنصت ماشئت

بأذن فوق مدى الآذان

اتنفس - حين تعرض عني-

فإذا أنت هوائي

يرف القلب .. أظنه انشغالا عنك .

فإذ بك أنت الرفيف

لن أبرح حلمي

قالت: لا أبْرَحُ

حتى أبلغَ

نَبْعَ النهر الجاري بين يديك

والروحَ الهادرَ ملءَ حروفِكْ

والأنوارَ المُشْعِلةَ أُوَرَ المعنى

وأناجي الروحَ المرتديةَ غيبك

فلا أنت العابثُ بالكلمات، لتعبثَ بالقلبِ اللاهثِ خلفَ فضائِكَ

ولا أنت المتجلي للصخر الذائب بين ضلوعي

لكني .. يصعقني برق الحرف ويدخلني

لممالك خوف موصدة لا تقصدها

فَأَخِرُ، أُسَلِّمُ كل مفاتيحي

لِتَمْدُدْ يدك وتأخذْ، ما شئت متى شئت

رجوتك بُحْ

إني لا أبرحُ حتى أبلغَ دُرّكْ

وحيدًا تحارب

تحارب وحدك

إذ الريح تعاكس قائم خيلك

والبرق يغشى عيونك

والندى - حتى الندى - يصدئ سيفك

والوطاويط تسد السماء على ناظريك

فردًا تروحُ .. فردًا تجيء

تراود الجِبالَ عن ثباتها فتعانِدْك السفوح

وتقطع الليل سدًا فسدًّا

لا قمرٌ يؤنس روحك ولا نجمةٌ تقود خطاك

فإياك بغير انتصارٍ تؤوبُ .. لئلا تموتَ وحيدًا.

ذنب

يثقلني ذنبي

يمنع أجنحتي الطيران فأغدو

كالبط المقعد

أرقب أسراب يمام طواف

يتعلق بالأستار

وأنا العاشقُ أتعثرُ

في أسمالي

وطن

يخذلني قلبي

وتفارقني الروح

أما أنت .. فلا

يا وطنًا بلهيب الوجد نسجناه

وسوّيناه

شجرة عشق لا تذبل

******

نَحِن .. نُجَن .. نَئِن

نُكِن الشوقَ ونحبو

قُرْبَ الأبوابِ المُوصدةِ

وَنَخْبُو كالنجماتِ

نَضُوعُ نَضِيعُ .. تمزقنا الصبواتُ

وتنثرنا الآهاتُ على دَرَجٍ يُدْخِلُنَا رَحِمَ الأرضِ ..

لنصعدَ نحوَ الذاتِ، المفترقة عنّا

يَضْرِبُنا البرقُ ليصعقَ أرجاسًا مزمنةً فينا

ويُهَيِّئنا

لمنازِلِنَا الأولى

كَمْ أوحشني مَنْزِلَيَ الأول

ليل ثالث

ماذا تملك كي تنفخ روحًا أخرى في هذا العالم؟

محض حروف تنظمها في عِقْدٍ لا يسمن أو يغنى في وجه السيف.

وكيف تقاتل هذا الزيف بشمس قصيدة؟

كيف توفر مأوى للمرضى والأيتام؟

هل يُجدي أن تشرع نبل الحرف بوجه لصوصٍ أو حكم لئام؟

لا برق أو رعد للحرف يعتق رقبة

فاطوِ سحاب حروفكَ، علَّ الأيامَ تجود برب للسيف

يغرس رمحًا في رحم الأرض المسلوبة

ساعتها تطرح تينًا

أو زيتونًا.

يأس

إن قاتلك اليأسُ فلا تجْزَع

بل خَاصِرْ بحرًا

وامنح قلبك همس الموج

وَعُدْ ممتطيًا صهوته الجامحة .. وقاتِلْ.

إن حَاصَرَك اليأسُ فلذ بالروض المتمدد في روحك

رَاوِدْ وِرد الكلماتِ ببعض قديم العشق

وأيقظْ ذَاتك من غفوتها

ثم انزعْ قوس الصبر على المكروه

وقاتل.

ثُرى ما الذي كنته؟

(1)

هسيس الروح

الجاذبية التي تسقط الشهد فوق الشفاه

الحرير الذي يحرس نوم الأميرة فيستر ما بدى

رائحة الشوق الدفين وبسمة الياسمين إذا دفن العبوس وجه الحياة

ثرى الأرض حين تحن وتسكرها رقة المقل

ظل السحاب الرؤوم الذي يحجب القمر عن عيون عابثة

وهج الشمس حين يصير كبد السماء كالمهل ينشق في لمسة حانية

ترى ما الذي كنته؟ ترى ما الذي لا أكون؟

(2)

بصفو الفراش المسكون بالروعةِ

أهفو إليك

وشوقي يخاصرني من بعيد كقوس قزح

بقلب اليمام الحنون أسلم راحتي لتسكن ملتاعةً

في راحتيك

وتعرف قبل الرحيل المباغت طعم الفرح

كأوراق ورد رهيف أحيط شذاك

فقلبي السحاب الذي ينجيك من الطفو فوق ماء أجاج

ترى ما الذي كنته؟ ترى ما الذي لا أكون؟

(3)

وتكشف عن الروح ظلماتها، تعرف لون الفراشات التي أعشق، ولون الحلم

حين يلفني العطر، ووجيب القلب إذ يشتاق .. والنغمة السكرى إذ تحتار في شفتي

تحيطني نظرة عجلى، فتبدو شغافي مأسورة في يديك، فيا بددي

إن أنت أمعنت النظر

وحين يلهمني خيالك أخاطر بالملكِ وآتي إليك بعرشي

قبيل ارتداد البصر

ترى ما الذي كنته؟

ترى ما الذي لا أكون؟

(4)

ظل يرافقني .. طيف يقود خطاي إلى مهاجع حرفك الدري ، فانْشرْ قصيدك في المدى

واملأ حنايا الروح تغريدًا، فأنا لبهجتك الصدى.

إن تقل للشدو كن أكون. وعمري فدا لحظة من سناك

زدني جمالاً وابتسم

زدني خبالاً بقدك الممشوق في وجه المحن

زدني دلالاً .. واحتضن لهفي عليك

إني إليك أفضيت بالسر المقدس، فاحتمل وهجي وكُنِّي

ترى ما الذي كنته؟ ترى ما الذي لا أكون؟

لغة تليق بي

ويطيب لي

أن أتوضأ بالكلمات

وأسجد في محراب العشق

حتى يهتف بي:

اخلع نعليك

فأخلع كفني

اتحد بظل حبيبي

يا للقصيدة!!

قصيدتي مروية بالنيل

تختال كالطاووس في زهو

وتهرب كالغزلان في الصحارى

مخافة الشغف

وحين يجن الليل تسمعني

من شجي الهديل

.....

ملكان نخطو

فوق أرض لا نمس طينها

ولا يمسنا

غير ورد الروض

يشتهي منا القطاف

لكننا نخاف .. أن نبتل بالندى

ملكان نهفو

لا يدركنا بصر كليل ولا

فتنة عمياء

نشتاق للسماء كي تحنو

وترتق ضعفنا البشري

وشوقنا الغجري للصفاء

......

تنام على كفيّ مثل الضحى

فأغمض عينيّ لتشبع الروح من

بهائها المخفيِّ عن بصري

وأتلو أورادها بنبضي

وِرْدًا فورِدًا لتغفو كالحديقة.

....

وتهفو الجميلة إلى عشقنا الذي بددته الليالي العجاف وحطه الموج في طوف – بعمق الروح – ليلبس في خفة – قفطانها – الذي لا يلوح لأيامنا الفانيات

وتقسم أني تلبستها، ذات مساء بهي

وأن كل التعاويذ هباء

....

تقول الجميلة: كيف يراودك الحزن عن نفسه

و"النهار نهارك ..

والمساء مساؤك ..

والمفاتيح لك

والمآذن بك

والمصابيح في الدجى بعض سنائك"؟

تضيف الجميلة:

ألست" آدم الجنتين؟

فلتنفض دهور الحزن عن ظهرك

ولتومن بأنك تصنع التاريخ

وتبني - رغم حزن شفيف - بهيّ الممالك".

صدى

رأيت في الصدى

بوح ارتعاشة الصوت حين تلاقحه الريح

رأيت في المنقوش على جدار الروح

نوْح يتيم يرتل: أن ما مضى قد مضى

فالطيور لا تعرف الوراء

بل تهيم في المدى

وإن أنشدَتْ في شجوها قصائد الحنين

فيك بعضي

بعض صداي ونقشي

ونسمتي الشاردة.

قرب

ما أجمل قربك، إذ يجعل روحي تزّين لبهاك

وتنضو وحدتها لتضوع بعطرك في أرجاء الكون

ما أجمل بعدك يشعل نار الشوق ويبقيني جذوة وجد

تمحو كل ظلام النفس، وتغسل كل الأرجاس

ما أجمل إبحاري للمجهول،

فوراء المجهول ندى، وراء المجهول نغم،

ووراءك إحساس علوى يجعلني أتطهر بك

هبني كوثرك ليفنى ظمئي .. ريّي أنت.

أيامي سكرى برحيقك، أسطرها وسَنُ، يرجع لي ذاتي/ ذاتك. أحرفُها شجنٌ لافح.

إلى "سعاد"

آه لو تعرفُ .. كان بودي أن ألهو كالبجعة

لكن يديك النابتتين جناحي كروان في كبدي

سلمتاني للريح العاصف

والزمن الآكل كل شباب لم يتركني

أطًّاير كفراش ساحر،

أقعدني فوق الكرسي وأوثقني

بالضجر وبالأوجاع المبرحة

ما أفلت مني شيء إلا الروحُ العاشقة

وبعض وميض الذكرى

آه .. لو أتوكأ ثانية فوق يديك الخضراوين

أصّاعدُ في أفق يتراقص بالنشوة

وأعود لأخطو كغزال بري

لا يخشى سحب الشيب القاهرة

أو محن الآلام.

وسن

كانت تحلم

تورق وردًا وأزاهير

تضوع .. تضوع

توقظ كل عصافيرٍ للبهجة في عمق الليل

فيعود البدر شجيًّا من مغربه القاصي

يتربع ملتحفًا أقرب غصن للشباك

يتحامق عصفور، ينقر في رهف صمت الليل

ويبدأ الهديل

تصحو ودمعتان تلثمان جيدها.

خمسينية

في الخمسين

تتنزل آيُ الشعر على قلبي المثخن

أتوحد بصباي وبالأحلام الضائعة سدى

وأتوق إلى قلبي الأخضر

عَضُدي الأخضر

رُوحي الخضراء

قبل الطًّعْنِ

وقبل صروفِ الزمنِ العنِين

أنفاس

أنفاسك مَزْجُ خُمورٍ وعطورٍ وحياة

ولآلئ مضناة في قلب اليَمْ

أنفاسك

أنة نايٍ، شجوٌ، آهات، شقشقةٌ، وأهازيج صباحٍ، ترجيعةُ أنغامٍ نشوانة

أنفاسُك ذكرٌ، شكرٌ، ذوبانُ العارفِ، وحلولُ الواجدِ في وجْده

وخلودُ الراهبِ في خُلْده

ونسيمُ الملكوتِ المتسامي عنْ عالمنا الوحشي

أنفاسك رَيٌ.

لوعة

يا دمنا المسفوح في بلد مصاب بالعطن

أتدلنا على معنى رحيم للوطن؟

غير الشقاء في مدن الصفيح

والتسول في إشارات المرور

وانكسار النفس بحثًا عن رغيف

وتساقط المرضى الجائعين في عصف الخريف

والنوم تحت كباري العربات المترفة

وابتذال الروح بحثًا عن جثة في مشرحة

تسحق الأوطان أعظمنا كريحان ضل خطاه وانحنى للعاصفة

ويل القوي من الضعيف

ويل الأمير من الأجير

ويل الثري من الفقير

وويل ثم ويل .. لنخبة مدنسة

ورأس ثورة منكسة

خطو باتجاهات عدة

وحيدًا أخطو

أذكر أنسى أرغي أزبد أكتب أمحو

أصول أجول أَحِنُ أُجَنُ أقول وأصفو

أقرب أبعد أحنو أقسو أقطَعُ أَصِلُ

أضرب أخماسًا في أسداس

أعشق حتى يرفعني العشق لظل العرش

أخلو حتى يتركني الطوفان وحيدًا إلا من ظلي الشاحب

أحادث نفسي

أخلق قمرًا وسماء من وحي خيالي

ولقاء ووداعًا ودموعًا ومآقي وسفوحا أزرعها وردًا ، وجبالاً أُسْكِنُها الأنفة

وأحارب فرسانًا من نار أسكتهم بصليل الكلمة

أسكت تخشع كل الأصوات اللائمة، فتدنو زنبقة في استحياء

تطفئ غضبي الفوار، أعود حنونًا ووحيدًا

أبحث عن ظلي الهارب فيغيضُ الظل أغيضُ

تتشربني الأرض فأمسي ينبوعًا عذبًا في الزمن المالح

أتدلى من رحم الغيب وفي كفي الحرف الناقص من سيرة كل العشاق الشعراء

ألف باء أتهجى .. واو ياء

وأعود كما كنت خليًّا.

وله

أخطو نحوك / نحوي

مرتحلاً في الغيم وممهورًا بسلافة روحك / روحي

نخرج كالودق نشق ظلام الكون

ننداح نضيء

لننبت كونًا آخر كالحلم وعشقًا آخر

نجتاز سراطًا بعد سراط

نبني مدنًا من ولع وحدائق من رهف خالص

ونجلس متحدين لنغزل ضفة نهر قدسي

يغسلنا من دنس عانيناه طويلاً

الآن حري بي أن أقطف قبلة

أن أنفخ من روحي في روعك

أن أتجلى حين يزين زهري شاطئك الأبلج

وأنام بعينيك كوسن حالم

لأصير كما كنت بهيا.

توحد

أشْعِلْ وَلَعَ القلْبِ وَخُذْ

من أحداقيَ مَجْمَرَةً لحروفِك

مِنْشارَا

يقْطَعُ شَجَرَ الأيامِ الذَّاهبةِ بلا معنى

واذْهبْ بي حيث يَغِيضُ البشرُ ونَبْقَى قَبرَتَيْنِ

جَنَاحِي فَوْقَ جَنَاحِكِ

تَحْتَ جَنَاحِكِ

بَيْنَ جَوَانِحِكِ المُشْتَاقَةِ

والْثُمْنِي حَتى أتَبَددَ بَيْنَ ضُلُوعك

إِلَى أَنْ يَتحِدَ الظل ويفنى النسيان.

غموض

افعل ما شئت

واركب من خيل خيالك ما اسطعت

واهجس بي كالعارف والمتحد بظلي

واركض في روضي بفراشاتك حتى يدركها السغب إليّ وفيّ

وغص ما شئت فلن تلمس إلا لؤلؤة واحدة

في قلب محيطي

لن أمنعك إذ تتخيل أنك أصبحت مليك الماء

ما ذنبي أنك وَلِهٌ بي

ما ذنبي أن كهوف السحر بأعماقي لا تحصى

وأنك غواص فرد .. لا تجمع مائي بين يديك المتعبتين

لكن حسنًا .. لك أن تهجس

أو تركب خيل خيالك ما شئت

ولـي لؤلؤيَ ..

أوزِّعُهُ كيف أشاء.

استجواب أخير للشعب

أنا الكثير أنا القليل أنا القريب أنا البعيد

أنا الغريب

خُطوي معادٍ للبدد

أنا صريع الأمنيات في وطني

أنا العتاد أنا العدد

إن نلتموا قلبي اقتلوه

إن ساءكم وجهي اصلبوه فلن أموت

والطير لا تقرب رؤوس الأولياء

أنا الولاء

للأرضِ النديَّةِ .. والمدد.

ذكريات عابر للميدان

---

(1)

أنا صليت على أسفلت هذه الأرض

وانتشيت واكتويت باللظى

وارتويت

واكتحلت بالجموع الطاهرة

حييت ومت

فنيت وذقت الخلود

واطمأننت وارتعبت

عمدت بالدماء

فصرت خارجًا على

طوع الانحناء.

(2)

خمسٌ وعشرون شجرة اخضرت يومها في القلب

فأورقت وردًا وأطفالاً يشبون عن الطوق

سقفهم السماء

أبرياء كالتسابيح وزُهّادا كموج البحر .. يزفون الغثاء - غير آسفين - للنسور المهاجرة.

وينعمون بالصفاء

(3)

أنا صليت على أسفلت هذه الأرض

فلم أعد مَشاعا لكل ذئب يعبر الطريق نحو القصر

أنا النهي والأمرُ، وابتسام الزهرِ في الروابي

صحوتُ، فانتبه الزمان

فإن أردتم أو أبيتم .. ليس غير عباءة الشعب الأمان.

(4)

أنا صليت على أسفلت هذه الأرض، لكنهم انصرفوا

فلم يتموا الركوع أو السجود

ولم يلقوا على الملائكة السلام

وأنا البلاد، أنا السواقي الصادحات، أنا المطر

أنا الإقامة والسفر،

أنا المحراب والبيت العتيق

فلتعبدوا السامري ما شاء لكم

فغدًا تشب عن الطوق النبوءة

وأعود منتصرًا

إلى الميدان.

لأحرار تونس

تقدموا تقدموا

لأجلنا تقدموا

امنحوا أبناءنا ياسمينة يتيمة

وطببوا جرح من يئسوا... ومن هزموا

يا إخوتي تقدموا

وانتبه الآن

يا من لا تفقه لغة الصمت

فكثيرًا ما صم الصمت الآذان

لكنك أدنى

من أن تفهم هذا المعنى

حزن

وحيدٌ، على شرفة الضوء الأخير أُغنّي

فاعذريني إنّ نايي حزين

رهيفٌ أبِيّ مثل السحر

حنونٌ على الروح مثل الأنين

جريحٌ كالقلب وقت الضجر

ضمني

جناحان للحلم

فكيف إن تركتني يداك أطير

وكيف ألقط الحَبَّ والحُبَّ

بشفة واحدة

وكيف أعبر هذا المحيط وحيدًا

وليس لي

غير مجداف يتيم

وحيدٌ

والطريق إلى عينيك موحشة

فهلا أضأت ظلام الحروف لأجلي

وأطلقت سرب اليمام الخبيء

ليمسي مؤنسي في الرحيل

بعيدٌ أنا عنك كالأمنيات

قريب من الروح قرب الأصيل

بلادي

وطني ليس مجرد أرض

بل جسد ينبض بالعطف بلادي

وثراه ليس ترابًا

بل محض بقايا ألسنة ذاكرةٍ

ونياط قلوب خاشعةٍ

ورفات عيون عاشقةٍ

نادمها المجد بلادي

وبلادي صفحات فخار في التوراة وفي الإنجيل وفي القرآن

ليست بهتانًا مغموسًا بالذل

بل ظل للعشاق

وروضة مشتاق للخلد بلادي

والموتى مثلي

معجونون بطيب الأرض

ومغسولون

بالبرد وبالثلج وماء الورد بلادي

الأرض بخور الشهداء

وسلافة روح الأحياء بلادي

حنين

يغني المغني

فتشدو البلابل في روضنا العنيد

وتطوي السماء شراع الزمن

وتبسم نجمة سابحة في البعيد

تشتاق أن يجمعها ظل القمر

تلامس نبض يديه

وتنهل عذب الندى في عيونه

وتحضن ما تبقى من عظام الحنين الرهيف

فقد لا تُقبِّل يوما .. إلا ثراه

يغني المغني .. فينداح

في الأفق عشق الحياة.

نسيان

آه لو أمكنني النسيان

لأعود عفيًّا أركض في البرية وحدي

أخلع عني ثوب الناس البالي

ألبس ثوب الصفو

وأتوضأ

من أرجاس وجوه خانت ورد اللقيا

لأكون حفيا بالعشق الهائم والمتسامي

حتى عن أفئدة الطير

****

آه لو أمكنني الطفو

خفيفًا مثل ملاك

ورهيفًا كالزهرة، ورقيقا كالنسمات

أطل على الدنيا من علياء لأعانق ذاتي

ألم شتات الوجع الكامن في الروح أعود

للسرمد حيث أقمت قبيل وعاء الطين

أعود لكوني فكرة

****

آه لو أمكنني أن أتحول بدرًا

لأضيء دجى الأرواح الثكلى

من فرط العشق وفرط النجوى

لحبيب لا يتجسد أبدًا

إلا نادمه النقصان

آه لو أصبح فرقانًا

بين العدل وبين الظلم

بين الليل المبهج كاللؤلؤ والظلمة

بين الإنساني الناعم

والبشري الناعب ..

والجالب دومًا للأحزان

دفء

دفئني بين حناياك

واكتبني سطرًا ينسيني وجل النسيان

اسكبني عطرًا للزهر الذابل يمنحه المعنى

أسقطني مطرًا يروي عطش الأرض

اغزلني نسمات

اجعلني الشجن الحائر في عينيك الذاهلتين

والوسن الخالد للسهد المصلوب

على أبواب الليل

والبعث الحالم من موتك

واللحن المؤنس في الصمت الأبدي

وخذ بيديِّ

اعتياد

وأخشى الاعتياد

على قلبي الصادق كالموت

من عينين مبهجتين

كالحياة

أمنية

ولا تمنيتُ في الأرض قصرًا
تجري تحته الأنهار
فسكناي قلبك
ولا رغبت في متع الدنيا وزينتها
فكل بهاء حاضر
ما غاب صدك

ندم*

"ووزعت قلبي" على الزهر

حتى يصير العبير عبيرًا

وأذنبت حين قطفت الخزامى

وحين قبضتُ على كفيك

قبضًا يسيرًا

وأسكنت روحي على شاطئيك

وعدت بلا فيض نهرك عدت حسيرًا

وأقسمتُ ألا تؤوب ورودي إلا إليك

ووعدتِ ألا يكون سواي .. أميرًا

***من معارضة لقصيدة درويش "أنا العاشق السيئ الحظ**

موت

أبلغ ما في الموت أننا نعيش

في ظل سيفه المصلت فوق الرقبة.

أشهى ما في الموت أنه كاشف

زيف القلوب التي تدّعي العشق

والقلوب العاشقة.

***

أجمل ما في الموت أنَّا بعده ..لا نموت

بل نذيقه نفس الكأس التي سقانا،

ليحني منا الجباه.

لست موتًا أيها الموت ؛ بل أنت الحياة.

ظلام

وحيدٌ

والطريق موحشة إلى عينيك

فهلا أضأت ظلام الحروف لأجلي

وأطلقت سرب اليمام الخبيء يفك وثاقي

ويمسي مؤنسي في الرحيل

بعيدٌ أنا عنك كالأمنيات

قريب من الروح قرب الأصيل

صهول كخيل العاديات

رقيق مثل زنبقة خجول.

زقزقة لعيون الأميرة

تحن الأميرات

لمن يشيدون الممالك على أنقاضك، أيها الليل

لمن يحرسون الزنابق، من افتراس الظلام

تجنح الأميرات نحو السلام

ليصمت هذا الرصاص اللعين

لجيل أو بعض جيل

فينبت المستحيل

يزهر العشق تحت الركام

****

تزور الأميرات خيام اللجوء

تفاجئ الأميرات الكباري التي تنجب خطيئاتها،

وقت المحن

والقرى التي لا تجد ما تتدثر غير لوعاتها

تمسح على رأس طفل يتيم

تشيع الحقد إلى مثواه الأخير

لينبت تحت الحطام، الوطن

****

تضوع الأميرات مثل الأقاحي

تضيع الأميرات مثل السراب

تذوب الأميرات وقت السحر

تضج الأميرات من وهن الروح

وتعشق البحر وقت الخطر.

بكائية طفل في عامه الثاني

كالطوفان كان يجيء..

يترك سهمه في القلب

ثم يغادر منبتًا وردًا ..

وبعض النور في الأحداق

كان يجيء..

بساط الشوق ممشاه

سحاب العشق مشرقه ولحد فاتح فاه ..

تجاه غروب قصته

صموتًا كان .. منفاه

فآخر لوعة للقلب .. آخر شهقة للروح

آخر فلة في الكون .. يرميها ويمضي

وحين هتفت وأغوثاه من عشق

لم يسمع سوى المعشوق

تراه يرق لي يومًا ويجعلني

كبعض الكحل في عينيه

أو الوشم الذي يخفيه في صدره

أو السر الذي يدنيه من جهره

تراه يذوق شجو القرب في قربي

تراه يئن من بعدي

تراه يضوع كالمسك

ينشر في حنايا الكون أغنية

يُعنونُها "أنا عاشق".

رهف

رهيفة كمهجتي

تنادم الروح غرامًا مُترعًا بالأمنيات الجامحة.

شذاها مثل أفراس صهول في دمي

تشعل الأيام عطرًا وخزامى.

وأريج البوح في الشفتين زلزال حياة

للسنين اليابسات اليائسات.

فلترفعي الرايات

يا بنت الندى والعطر والحلم المباغت

والحنايا المبهجة.

نهاية

فجائيًّا ستأتي

على حين غرة كأنك حلم

يحتار في وصفه العارفون والكارهون

ويبحثون في ثنايا السطور عن النبوءة التي لم تطل العهد

وأسرعت بالقفز إلى البياض اللا نهائي الحنون

قد يقول البعض كان عبئًا تثقل الأرض خطاه

ويقول آخرُ: ويحهُ لم يزل غضًّا كرمانة، لم يكمل اصطفاف حَبها، فوق الشجر

وثالث يتلو حرفه المشجون مستغنيًا بالمعنى عن الشكل

وباللباب عن سعف تساقط، حين قطعتَ أيها الموت، النخيل.

******

فُجائيًّا ستأتي، وكيف تفاجئ من حمل السلاح وظل يقظانًا، على مدي الأيام، بانتظارك

كيف تفاجئ من ينام مخادعًا، يفتح عين البصيرة، حتى تراك وأنت تنسل من الحائط المصمت خلفه، متخفيًّا بدثارك

قل لي بأنك قد تجيد التنكر، فتأتي كيمامة تأسر قلبي بالهديل

أو وردة تقسم ألَّا يدٌّ لامست أوراقها قبلي

أو قبلة مجنونة مشتهاة

لتكون أول عهدي،

وعهدك، بالحياة الموت

والموت الحياة.

****

في الشوط الأخير ينضج الثمر

وتكمل استدارة القمر

نصبح أبهى كالصبا

نستعجل الوقت لوعدنا القريب

فالأبيض القشيب بانتظاري

إياك يا حبيب

أن تبطّئ المسير نحو روضنا ..

إني هناك أنتظر

بوح

ولها وجيب

كاليمام الغض

حين تبوح باسمي

ولها نحيب إذا افترقت يدانا

ولها تسابيح الندى فوق المآذن

وهمس الورد

حين تكون لقيانا التداوي

والطبيب

صهيل

للخيل أن تختار فارسها

تلبسه الدرع

تمنحه الرمح المسحور

وفي المساء تجثو عند قدميه، بماء الورد

صهيلها طبله الحماسي وقت اشتداد الوغى

وهدهداتها استراحته على السرج المكلل بالزنابق.

***

للخيل جموح منتظر

ترمي من شاءت فوق التل

لتصعد تلًا جديدًا

بفارس جديد

***

للخيل فارسها،

فكونوا - أيها المماليك - على أهبة الانتظار

سيأتي عصي النهار

فالخيل لا ترضى الهزائم .. الخيلُ

يعوِزُها انتصار

إلى سيد موسى

وحيدٌ

إلا من الحزن المخاتل

يطعن غرف القلب

ويغتالنا خلا فخلا

والموت كالمنشار لا يرحم

أيها الموت – وجهًا لوجه - تكلم

ولا تتبسم

وأنت تُصَحِّرُ غابَتِيَ الظليلة

وقل لي: لماذا تُقطِّع السنديان حولي

وتدهس يانعات الخزامى لأبقى

كما جِئْتُ فردًا.

سحر الليل

هو الليل

فاهبطي من قصرك المشيد

إليّ

وقبِّلي هامتي قبل المشيب

ولا تخشي عنفوان الصبا

فإني آنستك حرفًا فحرفًا

تلوْتك وِردًا فوِردًا

رسمتك رمحًا، به في ساحة القوم

يحل السلام

غزلْتُك .. من أحرفي

رويتُ زهورك بِي

لتحيا حين يموت الكلام

***

هيا اهبطي الآن من قلبي

أضيئي عموم البلاد

فإن العبادَ

في زُبى اليأس رُكَّعٌ

لا يأبهون

خَرِسْنا .. فكوني اللسان

مَرِضْنا فكوني الشفاء

كرهنا الخيول العقيمة،

فكوني الولود

لمن يعشقون.

مقاومة

حين تقاوم الدفء السرمدي وتمشي ..

طوعًا في الصقيع تكون ..

أنت

وحين تقاوم ذاك الحصان المجنح

لتعود دامية قدماك فوق صخور الأماني

تكون وحدك.

لا إنس قبلك

لا إنس بعدك

وحين تلامس أنس الليالي العذاب وترتد دون نديم

فوق جسور الضنى

تكون فردًا

لا من يعاين وهجك إلاك

تلامس عمق الحقيقة

وتضع الروح حيث أنبتت وربت وازينت

لزمان غير الزمان

فصبرًا جميلاً أيها

النابتُ من مقلتيّ، المبحر في دمي

فأنا إليك أسري لنعرجْ

معًا

قسمة

نقتسم الآه

فألف منك

وهاء منـي

نتقاسم نفس الأنفاس، الشجن، اللوعة، والأحلام

نصعد نفس الربوات

ونشم الأزهار بنفس العبق، ونحدق في ذات الأشخاص

ونراقب نفس القمر المكتمل فيبعث فينا ما يتحاكاه الناس

عنك / عنـي.

كأنا من قبضة صلصال واحدة متفردة

نحيا من نفس النفخة

فحين أصادف ذاتي الشاردة ألقاكِ هناك

تنتظرين وجودي فيكِ

وتبتسمين لأنا عدنا

نفس النفخة

في نفس الصلصال

****

في بحر عيونك أسبح مرتجيًّا ألا أنجو

وعلي كفيك أنام كنبض مشتاق عاد .. لدفء القلب

فلماذا تحتارين إذ نتوحد دون إرادة؟

ألهذا ننسي سوط الوقت

وصوت العازل إذ يغبطنا أنا روحا واحدة

أو جسدًا نتلاشي فيه سويا ..

لتصبح عينُك عيني

والشوق اللافح في أحشاء ليالينا

بعض من ظمئي لمناجاتك

وأن ضياءً قدسيًّا أودعنا ذات الروح الهائمة

أودعك السر ..

وأودعني

هل أحبك

يا تُرى هل أحبك؟

- لا

فهجر المحب يكون احتمالاً

وأنت السرمدية في الروح

قبل اكتشاف المحبة

وأنت السلام بوقت انهمار اللظى فوق رأسي

وأنت النعيم الذي يغمرني

لأنجو بذاتي الشجية

وأعبر فوق سفاسفِ هذي الحياة.

ترنيمة للحياة

بطول مئة وسبعين سنتيمترًا وعرض خمسين

بيت مريح بانتظاري

فسيح إلى درجة أن القلب يبوح بما كان أو سيكون

والروح تسيح في جنبات الأرض بين الرياض

تتنقل في أحضان الأحبة ما شاء لها

وتمتص كالنحلة الهائمة رحيق الزهرات التي كانت محرمة

تحل في غصن يميل على عاشقة

أو تفتح أوراق وردة في احتضان رؤوم

المهم ألا أكون بعد مائة عام بارودة تغتال حلم صبي

أو قضبان زنزانة تسجن روح حر

أو كلمة زيف يرددها متنطعون

أو سيفًا بيد قطّاع طريق للأحلام

ساعتها أنام في هدوء أبدي

لا يعكر صفوه أرق .. أنام كاليمام

لأصحو على شفتيك الحانيتين

تغتال موتي.

اتكاء

كانت تتكيء على ماء المعنى

مضناة نشوى

بالتغريد اللافح للروح والخافت

والمكتظ ، البدد

تتأوه كي تسمعها الريح

فتنقل لي ظل الآهات

ويتم العبرات بغير يدي

تتقلب فوق حرير يدمي رقتها

وتذكر إذ كانت بسط روحها النواعم

مهدي

توحد

أنا وأنت غصنان

يتناجيان في صمت ، يتساندان

زهرة عطشى وماء في البعيد

وسراب هي البيد

تفتح للسارين سكرى باب العدم

علم ينكس طائعا

وفحيح ثعبان ، ودمدمات دم

وأنا أظل ظلك، أبدأ بالطواف على العبيد

أصيح: تجاسروا ..

إن السلاسل طالها صدأ .. فهبوا تنكسر

نشيج بدائي

لأجل عينيك أكتب هذا النشيج الجموح

لعلَّي أساير فيك طموح الزمن

لأجلك أرنو إليك

وأنسى الجموع وآبى الخضوع

وكلي خشوع لنار ونور، نار تجاوز كل الجسور، تكاد تطال الثياب .. ونور يهل شغوفًا، عشقه سنا مقلتيك

فماذا بوسع مريد عنيد وئيد الخطى في رحابك

أذود بعيني وهدب عياليَ عنك

ضلوعيَ متراس بابك

وصوتي صداك الطهور.

رفيف أخير

قصيٌّ عصيٌّ على النسيان مرويٌّ بشوق الأرض

يحملني سحاب خفيف إلى حيث لا بشر أطل

ولا شمس أضاءت هذا الملك قبلي.

أبيٌّ فلا سيفًا غمدتُ بصدر حُسّادي

ولا زرعًا لذاتي قد حصدتُ

ولا روحًا خذلتُ

ولا زنبقةً بجوف هذا الليل استجارتُ إلا أُجرتُ.

ولا حُلمًا سكبتُ على رصيفٍ ضائعٍ

بل كنت حلمي.

قمر وراء ركام

تقديم

مزيج الصوفية والرفض والإيقاع الموسيقى الخاص

بقلم: السيد حسن*

"قمر وراء ركام" مجموعة شعرية بالغة التميز فيما تطرح من إبداع راق، تجرى فى عروقه دماء الشعر الحقيقى، وينهل من ماء الشعر الصافى، تشعر وأنت تقرأ القصيدة أنك أمام شاعر لا يحيا بعيداً عن المنجز الشعرى المعاصر فى نماذجه العربية ونماذجه الغربية.

تحس إلمام محمود درويش بجوهر التجربة الإنسانية فى شمولها الذى ينطلق من أدق التفصيلات إلى أرحب المعانى، فى الوقت ذاته الذى تحس فيه برهافة وجدان محمد الشهاوى، ونبرته الصوفية التى لا تعتبر التصوف لوناً من ألوان الزهد وإعطاء الظهر للحياة، بل تعتبره لوناً من ألوان الصفو الوجدانى المدهش، يرق فيه القلب حد الشفافية، ويصفو حد الذوبان.

كذلك فإن حس الرفض السارى فى أوصال المجموعة من أولها إلى ختامها سوف يدعوك بالضرورة إلى استحضار تجربة أمل دنقل، وتجربة بدر شاكر السياب، حيث

يتعامل الشاعر مع القصيدة باعتبارها سلاحه فى مواجهة القبح والقهر، ومع الكلمة باعتباره رسالته العليا.

وفى الوقت ذاته سوف تلوح فى أفق القصيدة طريقة جاك بريفير المدهشة فى رسم صورة شعرية بالغة الإدهاش، تجعل المعنى الفلسفى يبوح بسره فى بساطة مذهلة، وكأنه يقول : إن أبسط المعانى أعمقها.

هل أحدثك عن تداخل العام بالخاص والوجدانى بالوطنى بالإنسانى العام بحيث ترى طيفاً لامرأة يلوح على صفحة القصيدة فى أنين البنفسج، لكن هذه المرأة تتحول إلى صورة رقيقة لوطن محبوب أو تستحيل المرأة مرآة إنسانية للوجد الإنسانى العام، ليس طرحاً للفكرة البسيطة الخاصة بالمرأة الوطن، بل هو طرح لفكرة وحدة وجدان الشاعر بحيث تتداخل فى وعيه وقلبه المعانى كلها.

من الناحية الموسيقية فإن معظم القصائد تسكنها موسيقى خاصة بها لكنها لا تنبع من التزام تفعيلات منتظمة لبحر شعرى واحد، وإنما تأتى الموسيقى مبتكرة بإيقاعات خاصة وصادرة من عنقود القوافى الداخلية من ناحية ومن تتابع الأصوات بطريقة مقصودة من ناحية أخرى.

---

*شاعر كبير ومدير البرامج الأدبية بإذاعة البرنامج العام

ثلاث عشرة أغنية للقمر

---

(1)

قمرٌ وراء ركام ..

من سحاب ثقيل

حشوه الدخان .. لا المطر

وقلبي على الشباك منتظر

كفرخ يمام

(2)

قمر وراء ركام ..

وقلبٌ مثقلٌ بأوجاع السكاري المتعبين بالقدر

يطوي الجوانح بانتظار قصيدة

قد لا تجيء

عمرُ اليمامِ بضعُ سنين

عمرُ القصيدةِ ألفُ عام

(3)

قمرٌ وراء ركام ..

ونُدْمَانٌ بلا كأس ولا خمر ولا أنغام

ونبضُ يمامتي يَحْنو على النور المسافرِ في الغياب

ويُسْمِعُه هديلَ الشَّجْوِ كي يأنس ، ولا ييأس

فكم قهرت طُيُوفُ الحُلْمِ

سِرْبَ ظلام

(4)

قمرٌ وراءَ ركام ..

مرتجفٌ .. بلا نَجْمٍ يقاسمهُ الحكايا والشجن

يَبُثُّ الحزنَ في أغْوارِ تربته
فلا وطنٌ يلُمُّ شتات حسْرَتِه
ويُبْدِلُها أغاريدا
غريبُ الدَّارِ لا وثنٌ يكسِّره ليكْسِر خوفهُ فيه
ولا أصنام

(5)

قمر وراء ركام ..
يجول بروحه الماضي، فيبكي كالوليد الغضِّ
وتؤنسهُ سويعاتٌ تَفَتَّحَ وَرْدُهُ فيها
فَيَبْسُم بسمة خجلى
ويشرقُ وجهُه النوريُّ بالبشرى
فلا تعْجَلْ

سيُفْنِي القلبُ حُجَّابا، وسُجَّانا

ويبْقى واحةَ الإلهام

(6)

قمر وراء ركام ..

كَمَنْجَاتٌ بلا أوتار

وألحانٌ معطلةٌ

وشادِ تشاغلهُ الحروب عن النغم

يَحْيَي بداخلهِ الصَّمَمْ

كم كان عذْبًا نلتقي

كم كان عذْبًا نلتئم

كم كان عذبًا ألا تَسُلَّ بوجْهِنا

سَيْفَهَا الأيَّام

(7)

وأنا على الشُّبَّاك من جرح إلى جرح

أُنقِّلُ مهجتي

ألمْلِمُ دمْعِيَ المسفوحَ

يَرْوِي وردةَ البيداء دمي

ياورديَ المذبوحَ فاصمد إنني بعض الشذى

ولتحتمل ألم الفراق

إنني الـ أنتَ والـ أنتَ أنا

لن تُفْنِنَا الآلام

(8)

قمر وراء ركام

صوتُهُ مُصَادَرٌ وصمتهُ مُصادرٌ وشوقُهُ مُصادَرٌ

ويمامةٌ على الشُّبَّاكِ تحنو بلا صدى

هديلُها الشجيُّ للحياة

يلتافُ بالردى

حنينُها أنينُها، أنينُها حروفُها، حروفُها جنينُها، جنينُها المسبيُّ بالقضاء

والقدر

طعامُها النورُ البهيُّ الغائبُ

وَرَيُّها الأحلام

(9)

قمر وراء ركام

كوردةٍ قَصِيَّةٍ تُعاندُ الذُّبولا

ونجمةٍ أَبيَّةٍ تُعاندُ الأُفولا

وبسمةٍ رقْراقةٍ كالمستحيل

ونخلةٍ تهدهدُ الوقتَ كيْ ينام

فتأنسُ بعناقٍ حالمٍ

قد لا يطول

وأنا على الشُّبَّاكِ مصلوبٌ

ومَسْلوبٌ

تسلِّمُني السِّهامُ

إلى السِّهام

(10)

قمرٌ على الشُّبَّاكِ، وفرخُ يمامٍ حبيسُ الركام

يتماهيان يتمازجان يتطارحان بالصمت عشقا ..

يتوحدان

صارَ للقمرِ الهديلُ

ولليمامِ ضوؤُهُ الفضي

أضحى قلبُهُ بدرًا ينيرُ للسَّارينَ ظلمةَ الليل الكحيل

وعلى شفاهِ الفجرِ تغريدُ القمر

قمرُ على الشُّبَّاكِ

يمامةُ خلفَ الغمام

(11)

قمر يمامة

قربٌ غريبٌ متجاوزٌ للروحِ هائم

محزونٌ ومفتونٌ لفرطِ سعادةٍ في لقاءٍ لا يكون

يبكي ويضْحكُ، مرتابًا من القدر الضَّنين

تعوي الذئاب فلا يخاف

تشدو البلابل لا يُسَرُّ بشدوِها

يخشى السحابَ والسرابَ، ويبابَ الحزنِ والوردَ الضحوكَ المستكين

ونظرةَ اللُّوَّام

(12)

يمامةٌ قمرٌ

مع الحلاجِ تنشدُ:

"والله ما طَلُعت ..

شمسٌ ولا غرُبت

إلا وحبُّكَ مقرونٌ بأنفاسي

ولا ذكرتُكَ محزونًا و لا فَرِحًا

إلا و أنتَ بقلبي بين وسواســـي"

قمرٌ يمامٌ يسكرهُ جمال بخيت، فيرْتقي..

كبدَ السَّماءِ مردِّدًا

"خُدي اللي باقي من الأمل فيهم

وابني لي من عضمُهم

في كل حارة مقام

وزوريني مرة وحيدة

لو كل ألفين عام"

(13)

ويرتوي القمر

يسلِّمُ ضوءَهُ الصَّموتَ للقضاءِ والقدر

ويسكِنُ اليمامَ

قلبَهُ الشجي

يضوعُ ضووُهُ الخفيُّ

كالمسكِ في الأرْجاء

لا يقطعُ الرجاءَ إلا من كَفَر

سلامًا أيُّها العشق

يومَ ولدت

ويومَ حييتَ

ويومَ صمدْتَ .. ويوم صمَتْتَ

ويوم أنرتَ ظلامَ المعاني

سلامٌ عليك

سلامٌ سلام.

تَوابِع

(1)

ليتها

ما اهتزت يومًا

ولا ربت

ولم تنبت

بماء الحرف أحزانًا

ولا رسمت حدائق بهجة غناء

تسكرني

وتسمو بي

لأسقط بعدها كِسفًا، يبددها ظلام الأرض

فعذرًا - كائني النوري – لا تحزن

وكن دومًا .. كما أوصتك

كن ..

(كالمهر في الدنيا)

(2)

وكان الضوء مسبيًّا

وفي الظلمات، سمعت هديل تسبيحاتك السكرى..

لينجي الله عشقا.. لم يزل غضًا

****

وكان البحر ورديًّا، بلون دمي

فحطت روحك الظمآى على موجي ..

وصرت البسمة الخجلى

لأيام رمادية.

تغريدة

وتغرد لي ..

تلك العصفورة تغويني

من خلف الغيب

وأنا بالشّرفة محتار

ما إن كنت سألج الباب؟

****

ها هي ذي أقفاصي انفتحت

أسرابي تحجب ضوء الشمس

فتعالى الآن

وجئتُ وجاءَت

جناحَاها فوق جناحيَّ نحلِّقُ سكرى

****

لصٌّ يخرجُ من سالفِ غُرْبتِنا

ويصوِّبُ نحوي بارودتَه العمْياء

يقتلُ تغريدةَ عشقٍ لاتعجِبُهُ

أَذْهبُ للشّرْفةِ ثانيةً

أندمُ .. أم أَرْثي مُغْوِيَتِي؟

لا أدري ..

لكنْ أجْنحتي – بعد قليل – تدخلُ في غِمْدِ الغربة

****

وتُغَرِّدُ لي ..

تلك العصفورةُ تُغْويني

من غيبِ الغيْب

وأنا بالشّرفةِ مُحتارٌ

ما إنْ كنتُ سألجُ القفصَ المظلم؟

وقد انغلقَ الباب؟

قبلة

القبلة بعض من روح المحبوب

في وجدانك تسري

تنبت في داخلك رياضًا وبها تخلد.

قرب شفتيك أمحبوبي

تلتاف بي

تصبُّ السكْر صبًّا ..

في عيوني

وأترع من كؤوس الروح أحيا ..

عيناها تحجبني

عن موت يَتَقَافَزُ حولي.

همس السحاب

على سُلَّمٍ من سحاب خفيف

تخطو ..

كأنها السَّنا

تراودُ الحروفَ عن مَكْنُونها ..

يكبلُ الحرفَ الحياء

كشعاعٍ هائمٍ تحفُّهُ

هالةُ القمر

فينطوي

وينكسر

ثلاثين عاما تأخرت

(1)

أو بَعْدَمَا ..

شابَ الفؤادُ ..

تَرُدُّ لي أَلَقِي ؟؟

أوَ تُنْبِتُ الإصباح ..

من شفقٍ؟

ثلاثينَ عامًا تأخرتَ

وظلَّ الحصانُ الذي "تركتَ وحيدا" ..

ونسِيَ الصهيلا

وتاهَ الأدلاءُ في صحارَى البلادِ

فَجَفَّتْ ينابيعُ شجوي

فَيَا فارسي عُدْ بي

إنِ امْتَلَكْتَ ..

مِفتاحَ الزمن.

لكنْ رَجَوْتُكَ

لا تثر شجني

(2)

(ونجْمَتي في الشمال

لتهدي سراةَ الغرام..

وتَهمسُ لي) :

بعيدًا بعيدًا ولا تقترب ..

فغيميَ سيجفلُ إذ يلتقي

يمامِ عيونك

دعْني

أراودُ حرفيَ عن عشقهِ ..

أعلِّم نفسي انتشاءَ معزوفةِ ..

تُعْطي الزمانَ الأمان

إنْ عَاودَ الخصبُ صوتيَ ..

أصهل

أرجِّعُ لحنًا رهيفًا يقول:

ألا تكْتفِي ..

ألَّا تموتَ الخيول؟؟!!

(3)

بريقٌ تلألأً ثمَّ اختفى وراءَ الغمام

وعاد اليمام وحيدًا

كسيحًا

بلا أجنحة

ولا شيءَ غيرَ هديلٍ يتيم يغنِّي بَؤوسًا:

(أصبحت لي

أحزان

بطٍّ

مُدَجَّنِ*)

----

* البيت من قصيدة للشاعر حسن نجمي غنتها كميليا جبران

اخلع نعليك

تعدُ بفرطِ الرُمَّانِ، بعناقيدَ من عنبٍ في جنَبَاتِ الروح، وحور عينٍ تتمايلُ وقتَ يُزَفُّ القلبُ إلى القلبِ النشوانِ، وتهتفُ: ها جَنَّتِيَ الموعودةُ، فاخلعْ حزنكَ، قبِّلْنِي، لن أظمأَ بعدَ شفاهِكَ أبَدًا

لا تتجاوزْ.

إياكَ وأنْ تقْرَبَ واديَّ القُدْسِيَّ، فإنِّي مَلَكٌ لا يَقْترفُ خطيئة.

وَتَرٌ وَتَرْ .. حَجَرٌ حَجَرْ

وترًا وترًا كانتْ تتلمَّسُ أنفاسي، تَتَهادى مثل نسيمٍ غجَريٍّ يسكُنني، يأخُذُني للدَّورِ الرابعِ فوقَ العاشرِ، ليؤكدَ لسماءٍ عاشقةٍ أنَّ القمرَ الليلةَ مكتملٌ، فافتحْ فردَوْسَكَ للعشقِ الكامنِ منذُ سنين، يَتعانقُ ميمٌ بالشينِ فيزهو مِشْمِشُهَا، ونغفو كَيْ ننعمَ بالوحْدةِ في سقفِ الكوْن، لا شيءَ الليلةَ إلَّايَ وإلَّاكَ، فلنهْجَعْ سَكْرى فوقَ رصيفِ الآمالِ / الآلامِ المجنون.

****

كنَّا طُلقاءَ رغمّ قيودٍ أدمتْ مِعْصَمَنا، فتورَّدَ فينَا خدُّ الحُلمِ لنصْحو، فإذْ الأحلامُ تُخَلِّفُ أنَّةَ نَايَاتٍ نشوانة. تهتف لَا.. لَا تَسْكُنِّي، قدْ أَصْحُو يَوْمًا خِلْوًا منكَ وَمِنِّي، أَتبَاعَدُ تجْذبُني، تَتَباعدُ أسْكُنُهَا، فتطيرُ تَطيرُ، نَطِيرُ بعيدًا، فوقَ الحُلمِ وفوقَ النَّشْوة، تتحوَّلُ نتَحَوَّلُ أُسْطُورَة، تَسْلِبُنِي شَفَتَاهَا اسمي، وجعي، نَرْتَدُّ لكَوْنٍ لا يَعرفُ أسماءً، غيرُ اللهفةِ لا شيءَ، لا شيءَ هُناك .

****

حَجَرًا حَجَرًا نتَداعَى، حَجَرٌ للأوْتارِ وحَجَرٌ للناياتِ، وحَجَرٌ منْ سِجَّيلٍ يهْبِطُ في القلبِ، فيُحيلُ الأنْغامَ بُكاءً، والأحلامَ رُغَاءً، حجرٌ للعشقِ فيتحَوَّلُ ذنْبًا لا يُغْفَرُ، حتَّى القمرَ الذابلَ كالذكرى نُلقِمُهُ حجرًا، يغْدُو وَحْشًا يلتهمُ المِشمشَ والتُّفاحَ، يَقْضِمُ أجملَ شيْءٍ فينا، نَغْدُو بشرَيْنِ حقُودَيْنِ ننْسَى الدورَ الرابعَ فوقَ العاشرِ، تَنْسِينَ اسْمِي، أنْسَى اسْمُكِ، ننْسَى أنَّا كُنَّا قَمَرَيْنِ بليل الوَحْشَةِ . نَتَكَسَّرُ فوقَ الصَّمْتِ .. وَنَغْدُو أثَرًا.

سكنى

تسكنُنِي

رغمَ الجدرانِ المتداعيةِ، وسقفٍ لا يَحْمي من عصفِ الرِّيحِ وغضبِ الأنْوَاء

تكْتُبُنِي

بالبُعدِ وبالقُربِ، بالهَمْسِ الناعمِ لحْظةَ صَفْوٍ، بالغَضَبِ الجَامِحِ لحظةَ يأسٍ، بالقلبِ المُغْلقِ في وَجْهِي حِينًا، بالرُّوحِ المُمتَدَّةِ في روحِي سَاعَات الأزْمَة.

تَجْعَلُنِي

نِصْفَ إلهٍ أوْ نصْف نَبِيٍّ، لا تلبثُ حتَّى تلعَنَ يوْمًا قَادَتْها الصدفةُ لطَرِيقِي.

لا أدْرِي مَا إنْ كانتْ بَعْضِي ـ أَوْ كانتْ عَقْلِي المُتَمرِّدَ حينَ أُجَنُّ، ما إنْ كانتْ شيْطانًا أوْ نِصْفَ مَلَاكْ.

هجر

للهجرِ صوْتٌ أُفْعُوَانِيٌّ الملامحِ يَقْتُلُ دونَ سَيْف

للهجر صَمْتٌ يَلمَسُ العدَم

الهجرُ أوردةٌ ودَم

يغوصُ في بطْنِ الصَّحَارَى

فيقتلُ النجومُ يشنَقُ القمر

فكُنْ على حَذَرٍ

يا أيُّهَا الجنوبيُّ المعاندُ كُنْ على حَذَر

للهجرِ سوْط

يَجْلدُ الساعينَ للنِّسْيانِ

فالهجرُ مَوْت.

يوسف

يَرُصُّ الحرفَ جنبَ الحرْف

يتهجَّى حرفَ الحبِّ .. قبْلَ هِجَاءِ الكلمات

يتفرَّسُ في كتبِ العشق، يُحلِّقُ كالنِّسرِ حين تَردُّ حبيبَتُه لفظًا

لا تعشقْ يا يُوسُفُ .. أنتَ بذاكَ تُعيدُ زمانًا ولَّى منذ قرون

يا ولدى كُنْ معشوقًا، لا تتركْ قلبكَ بيتَ غزالٍ،

اجْعَلْهُ عرينا، لا تَسفِكْ دمعةَ يعقوبَ فوقَ قمِيصي

فكفى يعقوبَ .. ما بدَّدَ من دمع في أضْرحةِ اللوعة، كن معشوقًا تأتيكَ شموسٌ ببكارَتها، وورودٌ لم يَمْسَسْها إنس أو جان.

خاتمة لا تليق بعاشقين

هلَّا استرحتِ الآنَ من وَجَعِ المغني

ووأدتِ نبضًا كان يَسْرِي في المَدَى

ليقولَ ما أخفيتُ عنِّي .

الآنَ ناصيةُ الهوَى ترتدُّ سكرَى، تقتصُّ من ألمي وظني

وأعودُ طفلًا بُدِّدَتْ سنواتُه

ينعى زمانَ السِّحرِ بينَ أطْلالِ التجني

هلَّا استرحتِ الآنَ منِّي؟

***

فلتهدئي يا فتنتي إنِّي مضيتُ ولن أعود

ها هو برقيَ السِّحْرىّ يبحر في المدى

تاركًا أوطانَه

هذي رعودي تنْكسر

فلا أمطارَ بعد اليومِ

لا نَدَى

فالزهر يقتله الردى

هلا استرحتِ الآنَ من وجع المغني

هلا استرحت الآن منِّي؟

أسْرابًا أسْرابًا يَنْفَضُّ الناس

نفسُ السِّرْبِ المتدافعِ نَحْوكَ يتراكضُ هرَبًا

حين تضيقُ الدُّنيا

لا يبْقى إلَّا وجْهٌ يَنبُتُ من داخلِ رُوحِكَ

يَغْسِلُ أحزانَك بالثَّلجِ وبالبَرَدِ

ويحْزَنُ أنكَ صرتَ وحيدًا

....

أسرابًا أسرابًا ينفضُّ الناس

ويبْقى الوِسْواسُ الخَنَّاس

يتشفَّى حين تَئِنُّ

ويقلبُ ليلكَ غمًّا .. ونجومَ سمائكَ حياتٍ وثعابين

حتى القمرِ النابتِ من زمن الأحلام يصيحُ تباعَدْ عنِّي

....

أوَ لستُ خليلَكَ يا قمري؟

- لا

أو لستُ الساهرَ أرعاكَ هلالًا ومُحَاقا

وأنظِّف وجْهَكَ كل مَساءٍ برحيقِ بنفسجةٍ سكرى

أو لستَ القائلَ ذات مساءٍ أنكَ لي وحْدي

حتى تتزلزلَ أركانُ الأرضِ بنفخةِ إسرافيل

...

أحوِّلُ وجهي

آخذ ما خطَّ القدرُ بيمناي

ثم أحدِّقُ في المرآةِ وأهتفُ: حقًّا حقًّا .. وَهَنَ العَظْم

وداعية

ودِّعي .. ودِّعي

وحَطِّمِي ما شئتِ من أضْلُعي

واسبقِي بالهجرِ كل لقاءٍ

أيْقِظِي في ليلةٍ ظلماءَ

كلَّ مواجِعِي

هيَّا أقِضّي مَضْجَعي

يا كبوتي وفتنتي

وسِدْرةُ منتهايَ

وأدمُعِي.

وصية إلى محمد

ثائرًا..

أموتُ مثلمَا ولدتُ ..

لا الأحزانُ تقهرُني، ولا جَهلُ المحيطينا

لتكملْ ما بدأتُ الآن يا ولدي

ومُتْ مثلي على الحدِّ

وبَيْنَ الحُلمِ والريْحان

وَغادِرْ كلَّ قطعانِ المواكب

كلَّ أعشاشِ العناكب

لتُصبحْ وحدكَ الإنسان.

آن للخيلِ التي أتعبَتْها السنابكُ أن تستريح

تُودِّع الخيلُ الأصيلةُ أصحابها إذا ما استحقوا الوداعَ

وتأنفُ .. إذا ما اقتنوا خيولًا لنزهةِ ميلٍ كيْ يتناسَوْا فتوحًا قديمة

***

تغنِّي الخيولُ القديمةُ مَوَّالَهَا، تُحِسُّ بشجوٍ .. تضُمُّ حناياها فوقَ جرحٍ

وتبحث للَّيْلِ عن مأوى ليؤنسَ منها الفراغ

وتأوي.. من قعقعاتِ السيوفِ إلى مجدِها الغابرِ تحتَ رمادِ السنين

***

وتبكي الخيولُ.. بحرفِ القصيد

تداري النَّوى بالحروفِ

تضمُّ إلى قلبها ضمةً فوقَ حاءٍ غريبة

وتحضنُ باءً ..

هلهلتها سيئاتُ المقاصِد

***

تضيعُ المعاركُ

يُبدِّدُها زَبَدُ الوقتِ

وتحيا القَصَائد

***

آن للخيلِ التي أتعبتْها السنابكُ أن تستريح

تودعُ أصحابَها إن استحقوا الوداع

وتُقْعِى كفهدٍ بانتظارِ غزوٍ جديد.

توحُّد

عشقنا معًا

وامتزجنا امتزاج المُدام

معًا

ولمّا افترقنا انكسرتُ

فَرُحْت ترُمين روحي

وعدنا معًا

بسمةَ في شفة

رقّةً في جوانح الصفا

ومِتْنا معًا

يُوَحِّدُ الموتُ ما قد تشتَّت

يُبلْسِمُ الموتُ جرحَ الحياة

يُبَدِّدُ الموتُ حزنَ اليمامِ

ويُبعثُ بالموتِ عشقٌ جديدٌ

لِنَبْقى مَعًا

****

لأن لحظك /الغويُّ .. فقدْ غَويْتُ

لأن قُرْبَكِ / الشَّهِيُّ ..أنا اشتهيْتُ

لأن دمْعَكِ العصيّ أذَابَنِي

لأن ليْلَكِ البهِيّ قد اصطفاني

أعلن أنّي الآنَ قدْ عَشِقْت.

قرب

روحي لَوَّابٌ في أفقٍ لا يعرفُ للهدأةِ معني
رُوحِي رفرافٌ يَرْشُفُ وَهَجِي من حَدقاتِ نجوم
يَطَّوَحُ كالسَّكْرانِ على أرصفةٍ من لُؤلؤ
يطرقُ أبوابَ حوانيتٍ من مَرْجان
أهفُو أن أكتبَ فوقَ سحاباتٍ تمطرُ عِشْقًا
من دون فناء
أَتَجَاوزُ كل سماواتٍ ممكنةٍ أدنُو
أدْنُو أدْنُو من دون دُنُوٍّ
وأضوعُ كمسكٍ في أرجاءِ اللهفةِ
علِّي أدْرِكُ لحظةَ سُلْوان.

أغني لها وحدها

وكانتْ سَنَا

تُرَاودُ الخُلْدَ عن نفسهِ

وتهمي عينها:

ربحتْ

فلتعترف يا أيُّها الخلدُ بأنِّي أنا

النابتةُ فوق جباهِ المستحيل

وأنِّي أنَا

واهبةُ كلَّ هذا الضياءِ

وأن الخلودَ نديمي أنا

وغيري البدَدْ

*****

فلتعترف أنَّكَ بعْضى

وأنِّي فوقَ البلادِ .. وفوقَ السفر

وفوقَ سحابِ الأمانيِّ فوقَ المطاراتِ .. وفوقَ الضَّجَر

*****

وأنِّي شموعُ الليالي الحزينة

وأنِّي السكينةُ.. اذَا ما ابتغيتَ السكينة

*****

وأني أَنَاكَ.. إذا باغَتَتْكَ طيوفُ الحنين

أو دَهِمتْكَ خيول الأنين.

وغيْري فناء.

قطار الصعيد

عصيٌّ على الفهمِ

عصيٌّ على النسيان

حينَ يصفرُ تنزوي القطاراتُ ..

تتهيأُ بكلِّ ما أوتيتْ لهُ القضْبان ..

فيرشقُ كالسَّهْمِ في المستحيل

ولا يسْتَرِيح

قريبٌ بعيدٌ .. قطارُ الصَّعيد

****

قطارُ الصعيدِ مَدَى

قطارُ الصعيد يُحيلُ الحياةَ بغير جهامَتهِ سُدَى

قطارُ الصَّعيدِ نجاة

****

كل القطاراتِ تعوى

لكنها لا تُخيف

وحينَ تُعانِقْها المحطاتُ لا ترتوي

فكل العابرينَ إليْهَا تفنَّنُوا في إحْناءِ النفوس

وحيدًا، يظَلُّ كالرمحِ

حتى حين تُسْلِمُ كل القطاراتِ أبْوابَها

للغُزاة

بؤوسٌ سعيدٌ

قريبٌ بعيدٌ

شهيٌّ عنيدٌ

قطارُ الصعيد.

وردة الميدان

تسألُني رفيقةُ الرَّصَاص

عن حُلْمِنا المقْطُوف ..

عنْ وَرْدِنا المُجْهَض

عنْ فَرْحِنَا المجروحِ ..

والمَكْوِيِّ باللَّظَى

عنْ جُرْحِنَا المَشْجُونُ ..

والمسكونُ بالفَرَحْ

ولا أجِيبُ

ذاكَ الذي قَدْ كانَ ..

لمْ يَعُدْ.. أَنَا

****

مشرد أنا ..

موجةٌ تحيلني للأوْهامِ وأُخْرى للحقيقة

منفيٌّ أنَا ..

في لعبةٍ قِوامُها لصوصُ الدين والعَسْكر

ضائعٌ أنَا مثْلمَا تبدَّدَ الأملُ مِنْ عيونِ فتيةِ الميدان

أنا الذي كلَّ يومٍ يُهانُ

حينَ يهتفُ اللُّصُوصُ باسمه

وحين يملأُ الجنودُ كأسهُمْ بدَمْعِهِ

وَدَمِهِ المُراق

أنا المسبيُّ في العيونِ يا رفيقتي

أنا المقتولُ بلا أهلٍ ولا هُوِيَّة

أنا المدفونُ في مقابرِ الأرقام

أنا البُراقُ

يركبُني الطامعونَ للقصور

ثم يُعدِمُونـي.

***

لكنَّني باقٍ هُنا

في يدي حُلمٌ

وَوَرْدة

كانت تتوكأُ فوقَ الرُّوح، تلْهو حِينًا وتُعاقِرُ جُرْحِي أحْيَانًا، تخْرجُ من عِقْدِ الفُلِّ لتلهبَ فيَّ الفارسَ والشاعرَ، وتُدغْدِغُ كلَّ نُبُوءاتي، تجعلُنِي سيد هذِي الأرضِ وفتنتِهَا، فتوكَّأتُ عَليْها.

*****

ظلَّتْ مصباحَ (ديوجينَ) ورُمْحَ (العبْسيِّ) النافذِ في ظهرِ الأعداءِ، وتلاويحَ الأملِ القاهرِ للموْتِ، ورائحةَ الزَّهْرِ وطَعْمَ الخَمْرِ، وكنتُ النبضَ الباقِي في أحشاءِ الدُّنيا، فسقَتْنِي كأسَ خلودٍ ثم رمَتْ بِي.

*****

يا سيرتَها الأولَى عُودِي

كُونِي عَوْنًا حتَّى أُثْبِتَ للسَّحَرَةِ بُطلانَ غِوايتِهِمْ، عُودِي

فمُجَرَّدَةٌ أنتِ من الألَقِ بدونِ يدَّيْ

لنْ يتوكَّأَ غيْرِي فوقَ بهائِكِ، فعَصَا مُوسى تبطلُ لحظةَ مَوْتِه.

*****

يا سيرتَها الأولَى عُودِي

فلتشبعْ يايوسُفُ موتًا ..

ولْيقتُلْكَ "السيَّارَةُ"

حتى تَخْلُدَ في الجُبِّ .. وتَرْقَى في سمَوَاتِ العشقِ

يظلُّ أبُوكَ يشمُّكَ

رائحةً من عَبَقِ المحبوبِ إلى أنْ يَفْنَى.

ما جدْوى أن تُفلتَ من موتٍ فتموتُ

ما جدوى أن تُفلتَ من عشقٍ ..

كي تَغْرِقَ في تيجانِ الملكِ ..

وتطلبَ وُدَّ زُلَيْخَةَ لا تجِدُه .

ما أغْناهُ النسيانُ وما..

أفقَرَهُ الإنسان؟.

وتغرِّدُ لِي ..

تلكَ العصفورةُ تُغوينِي

منْ خلفِ الغيْبِ

وأنا بالشُّرْفةِ مُحتَارٌ

ما إن كُنتُ سَألجُ البَاب؟

.....

يضربُ كفًّا فوقَ الكفِّ

يجزعُ حينَ يُتَمْتِمُ

" لمْ يكملْ خمسينًا بَعْدُ"

ويذرفُ نهْرًا من دمعٍ

ليردِّدَ مكسورَ الخاطرِ

"للهِ ما أعْطَى وما أخَذْ"

ثم يَعُدُّ السنواتِ .. ليَسْألَ

منْ منَّا عاشَ

أنَا .. أمْ هُو

ويعودُ ليجزمَ مفْطُورًا

أن الموتَ اختطفَ اثْنينِ

جَسَدِي وقَلْبَه.

......

تتقلبُّ فوقَ بساطٍ من ألَمٍ

صَامِتْ

وتُرَدِّدُ أني مُهجَتُها

وحدائقُ روحٍ رفرافٍ

وتعاتُبِنِي أنِّي لم أوفِ الوعدَ

تُذَكِّرُنِي ..

بأيَّامٍ مؤجلةٍ

وأحلامٍ مُوَصَّدِةٍ

تُفَتِّحُها بصمةُ صوْتِي

وتذكرُ وَعْدِي ذاتَ مَساءٍ

أن نتسانَدَ حين أشيخُ

وحين تصيرُ عجوزًا

ها أنذَا .. أترُكُهَا للريحِ وَحِيدة

……

تلطمُ خَدًا كانَ الأوْلَى

أن يَلْمَسَ سقفَ سماءٍ

تندُبُ

مثلَ بثينٍ تُنْشِدُ

"سواءٌ عليْنا يا جميلُ بنُ معمرٍ

إذا متَّ

بأساءُ الحياةِ ولِينُهَا"

تبكي رجُلًا لا تعرفُ كيفَ تُسمِّيهِ

ما إن كانَ أبًا أو ابْنًا .. أم كلَّ رجالِ الكوْن

لا تدركُ أوْصافًا

إذ لم ترَه إلا أيَّامًا معدُوداتٍ في الأحلام

وتعاتِبُنِي أنِّي مِتُّ وحيدًا*

- 30 أغسطس 2012 .. العناية المركزة بقصر العيني الجديد.

(1)

على الأعناقِ محمولٌ يا مَنْ ..

قضيتَ العُمْرَ تبحثُ في فِجَاجِ الأرضِ عن مَأوَى وعنْ سَلْوَى

بلغتَ اليومَ ما تبْغي، فلم تحْزَن!

الآنَ ترحلُ من فقْدِ اليقينِ إلى اليقين

ومن أرضٍ يغورُ الشوكُ فيها إلى أرضِ الحقيقة..

حيث المسكُ والعنْبَر

فها خمرٌ بلا إثْمٍ وهَا بشرٌ تخلَّوا عن ظلام الأرضِ جاؤوا في بساطٍ من سكينة

اتكئ أيُّها المتعبُ .. سبعين عامًا ..

هنا أعوامٌ لا تُعدّ

وأنت الآن أغنى من ملوكِ الأرضِ

فابتسم وانس كلَّ ما عشتَ من أحزان

وخُذْ ما شئتَ من قربٍ وَروّي روحَك الظمآن

(2)

بالبابِ حراسٌ وأصفادٌ وبعضٌ من حنين

ولوحٌ رخاميٌّ عليه الاسمُ والتاريخُ والمولِد

وأنا المُسَجَّى في غَياباتِ الغِياب

وبعضُ أطيافٍ تبقَّتْ فوقَ الأرضِ تختالُ قليلا

شيئًا فشيئًا تنمحِي الذِّكرى ويَسفُوها التُّراب

بشرٌ مثلُ السراب

نمرُّ سريعًا ونَفْنى.

(1)

"بانت سعاد" أفِلَتْ سُعاد ..

فليت يردُّني عنها السهادَ.. وليت يعيد لي بعضي الذي بأفولها يهوى

لكأنَّها ذبلت بحلم الكون وقتَ كنت كونها وكان الكون كوْني.

(2)

أهُز إليَّ بجذْع الوقتِ ..

لا رطبًا يسَّاقط عن يميني ..

ولا أملًا ينْضُو ثوبَه الفضفاضَ ..

يأخذُني إلى شطِّ بعيدٍ، خلفه قمرٌ عنيدٌ كيْ يعيدَ مهابتِي ويمنَحُها السَّلامة..

(3)

مُهانَةٌ دفاتري .. وقصائدي .. وستائري السوداء سدَّت أُفْق، فصحوت من سُهدي كَجُرْمٍ تائهٍ يُلاطِمُ ما تَخَلَّقَ من جَرانيتِ البُعَاد .. ذَبُلَتْ سُعَاد.

(4)

ورأيتُنِي في الوَهْمِ .. أَخْنُقُ حُلْمَها، وأغْرِسُ سَيْفِيَ المحميَّ في لحْمِ رِقَّتِهَا .. وأسْتَعِيدُ بَطْشِيَ الغَابِيَّ لأصْرَع في الدُّجَي طواويسَ المُنَى حوْلَ الغَزالَة.

(5)

ورأيْتُنِي بَشِعًا .. كَطلْعِ زَقُّومٍ بعدَما كان ضَوْئي يَكْفي لإشْعَالِ القَمَرْ ..

ورأيتُنِي أعْمَى البصيرةِ والبَصَرْ ..

ورأيتُني وَرِعًا تَقِيًّا في عيونٍ لا تَرَى .. ومكسورَ النُّبُوءَةِ في عَيْنِ الحقيقة.

(6)

ليت الحقيقةَ وَحْدَها طَوْقَ النَّجاةِ .. ليْتَ الحَيَاةَ تَرِقُّ لِي، كَيْ أكُونَ كمَا تَمنَّيْتُ أَكُون .. كمَا كُنتُ حينَ كانَ الكوْنُ كوْنِي .. وكُنتُ كونَهَا .. أخذَتْ سُعادُ مفْتاحَ فردوْسي.. ترَكَتْ قُروحِي للسُّهَاد .. غابَتْ سُعَاد.

(7)

قالتْ سُعادُ .. وكنتُ في حضْرَتِها صَنَمًا أصَمَّا .. فما سمعتُ ولا رأيتُ .. ولا ضحكتُ ولا بكيتُ ..وأنا الرقيقُ غدوتُ جلمودًا حطَّهُ سيلٌ بؤوسٌ فوقَ جُرْحِها . حبيبُها نحيبُها .. وتغريدُ البَجْعِ في عيونِها الصَّدَى .. صرت لا أرى الورودَ في خُدُودِهَا سوادًا حتَّى محارُ لُؤْلُؤِهَا تكَسَّرَ في صَمْتي المراوغُ مثلَ بَلُّورٍ نَقِيٍّ لا يلامسُ قلبَ كافِرٍ.. أيا سعادُ لَسْتِ الآنَ لِي .. كُنْتُ المَدَدْ .. صِرْتُ البَدَدْ.

وحِّدينِي في الهَوَى

كيْ لا أتُوهَ في وَسَطِ الزِّحَام

فأنَا المُلامُ إذا عَشِقْتُكِ

والمُلامُ إذا فَقَدْتُكِ

والمُلامُ إذا ما ضاعَ من شَفَتِي الكَلَام

......

وَحِّدينِي في الهَوَى فأنا المُتَيَّمُ..

وأنَا المُوَزَّعُ بين حُشَاشَتَيْنِ

وأنا المُصَلَّبُ بين جَمْرٍ وَجْنَتَيْن

وأنا المُضَيَّعُ بينَ سِحْرِ لمْسَتَيْن

وأنا يُبَدِّدُني الألَقُ ..

وأنا يُشَرِّدُني القَلَق

فأُصْبِحُ في سُهْدٍ وأُمْسِي مُعَنًّى بالغَرَام

....

وَحِّدِينِي في الهَوَى

فأَنَا لكَفَّيْكِ اليَمَام

وأنا لكَتِفَيْكِ الغَمَام

أنا نُقطةُ البدْءِ البنفْسَجُ

ثُمَالةُ الكأسِ .. الخِتَام

(1)

هذا النبيذُ الأُرْجُوَانِيُّ حياةٌ

للحيارَى .. الهائمين في الفَلَك

ما أَجْمَلَك

حين انتفضتَ / تَرُدُّ مُلْكا

كانَ لَك

وغَضِبْتَ / فانْكَسَرتْ قيودُ

كَبَّلَتْك

وَذُبْتَ في بحْرِ الصَّفاءِ / فهَيْتَ لكْ

يا من بُعَادي ..

بدَّدَك.

(2)

نَسِيمُكَ .. قَهْوةُ صُبْحي ..

وشَجَنِي المَسَائِيّ إذا ما تنبَّهتُ.. أنِّي

مُبَاغتٌ بالظلام .

فكوني اليمامَ الذي يَرْبُتُ بجناحيه الشجن.

ويَحْفُر بأهْدَابِهِ ثَغْرَةً في جدار المحن

وكوني النَّدَى وكوني البِشَارَةَ

كُوني الغدَ المأْمُولَ .. كُونِي البِكَارَة

وَكُوني العَوَاصِفَ حين تطيحُ وجْهَ العَفَن

ليأتي الوَسَنْ.

مِنْ دِفْءِ شَفَتيْكِ .. رِيحِي تَهُبُّ

على نيلِ طُهْرِكِ آتِي.. فارِسًا مِنْ لَهَبْ .

(3)

تطيرينَ بي وَرَاءَ الأُفْقِ

وراءَ الغيابِ تطيرينَ بي

يقتُلني قُرْبُكِ.. يَبْعثني

ألَقًا أرَقًا.. وفراشاتٍ

تبحثُ عن كُنْهِي الضَّائعَ في غيبِ الغيب

ينثُرُني عبَقًا للْحُورِ العينِ

ويفتحُ بي

أبْواب القَدَر الموصدة الصَّدِئة

يا مُحصِيَّ الأمواتِ.. رجوتُكَ لا..

لا تتعجل موتي.

خروج ثان

وأعرفُ أني أرقصُ

فوقَ الخطر

وأن لياليكِ عصْفٌ

وقربُكِ برقٌ ورعدٌ

وقلبُكِ في البعدِ مثلُ الحَجَر

وأعرفُ أنِّي أرقصُ فوق الخطر

****

وأدركُ أنَّكِ / أنِّي

محالٌ يعانقُ روحَ المغنِّي

ونجمٌ بعيدٌ .. شديدُ التجنِّي

ووقتَ الأفولِ قليلُ الحَذَر

وأعرف أنِّي أرقصُ .. فوق الخطر

****

وأعرف أنِّي القريبُ البعيدُ

وأنتِ المحالُ العنيدُ

وحَوْلَكِ ألفُ شهيد غرام

وحوْلِيَ سِربُ يَمام

وأني أرومُ الدخولَ

كظلٍ بعيدٍ (إلى ظِلِّهِ في الرخامِ) وأنَّ

الرُقِّيَّ إلى مُرْتقاكِ .. وَعِرْ

وأعرفُ أنِّي أرقصُ فوقَ الخطر.

يسألُني الراهبُ في المحرابِ: وهل يَكْسِرُني العشقُ إذْ لم تُفْلح مِحَنُ الدَّهْرِ؟ أجيبُ نعم.

العشقُ استبدادٌ بالروحِ، اخلعْ نعليْكَ اللَّحظةَ وارفعْ رايتَكَ البيضاءَ وسلِّم مِفتاحَ القلْبِ.

وحين يشيرُ إليكَ اصدعْ وتهذَّب

ماخابَ العاشقُ حيثُ ذَهَبْ.

بمن تأتنس؟

وسربُ اليمامِ الذي ظلَّ يُكحِّلُ جفنيكَ

وكان ينامُ على ساعدَيْكَ

طارَ بعيدًا وضاعَ بجذْبِ البقاعِ

ومَرَّ بِحُزْنكَ دون وَدَاع

بمن تلتَحِف؟

والسماءُ التي أظلَّتكَ تاهتْ في ضبابِ ..

التداخلِ بينَ السرابِ .. وبيْنَ الحقيقة

بمن تأتلف؟ وأنتَ لم تعدْ أنتَ

صرتَ الضيَاع مذْ غابَ صوتُها الذي

كأنَّهُ الهواءُ للوليد

والماءُ في البيداءِ للشريد

كأنَّ صوتَها للفطرةِ الأولى النداءُ

كأنَّهُ الدعاءُ .. إذا ما اشتقت رؤيةَ الحبيبِ لحظةَ احتضار

كأنهُ النهار

وسيفيَ الذي أشهرُ في وجهِ الانتحار

بمن تأتنس؟

وصوتُها اليمامُ

وبَوحُها النَّدَى

وقُربُها الحياةُ

وبُعدُهَا الرَّدى.

قصاصات

قصاصة أولى

تراودُني النَّفسُ أن أقاربَ نُورَكِ عَلّي

أكُونُ التَّجلِّي

فإنْ شئتِ أهِلّي عَلَيَّ

وإن شئتِ ظَلّي بعيدًا كنجمةٍ شاردة

وإن شئتِ كُوني مدَاري، وإن كنتِ نارِي سآنسُ

عليَّ استدلِّي برائحةِ الصِّدقِ في شفتيَّ

وفورةِ العشقِ بين يديَّ

ولوعةِ الصمت حين تهيمُ الورود في البيد

لتبحثَ عنِّي

****

قصاصة ثانية

وأقطعُ حبلَ الودِّ علّكَ ترتَضِي

عِشقي عن الدُّنيا بَدِيلا

همست برفقٍ: لن أقْتُلك

سأتركُ الطيرَ تأكُلُ من رأسِكَ الحيّ

مثلما عَشِقْتَني

فلتكن على صليبيَ الأبديّ مُعلَّقًا

لا خالدًا أو فانِيًا

عَسَى تتعلَّم ألا تعانقَ عاصفةً عاتِيَة

....

هل تأملُ الموتَ على كَتفِي أيُّها الجنوبيُّ؟

ومثْلُكَ أسمى من الموتِ دفقةً واحدة

تَقطَّرْ .. زهرةً فزهرة .. وعُشْبًا فعُشبًا

ونَفَسا فنفَسًا .. وأُمْنيةً أُمْنيَة

تقطَّرْ حتَّى تقولَ الأرضُ كفانِي منْ دَمِهِ ..

وحُزْنِهِ ونُبْلِهِ ويُتْمِهِ وشَجْوِهِ وسُكْرِهِ

وأحْلامِهِ الوَاهِيَة

تَقَطَّر لتستوي بالثرى - المرويِّ من دَمْعي - هامَتُكَ العالية

هنا ينامُ عاشقٌ .. هناكَ نامتْ عاشِقة ..
كان السحابُ أريكةً وطرْفُ ثوبِهِما المَدَى ..
وصوتُ القُرْبِ أغنيةٌ جنائزيةَ الصَّدَى ..
كالنَّخلِ ماتَا واقِفَيْن، كالنَّخْلِ عاشَا باسِقَيْن .

....

هُنا ينامُ عاشقٌ محمَّلٌ بالأغنياتِ وألفِ موالٍ شجِيّ
هُنا تنامُ الرَّوْعةُ الأولَى، ويندلحُ البهاءُ
وعَلى الضَّريحِ نورُهُ الخفيُّ .. عليهِ تنتحبُ السَّماءُ
(الهوينى كان يمشي) فوق رِمشٍ من رِضَاء

....

وهناكَ نامتْ عاشقة
تنسابُ كالمطرِ المُعطَّرِ في شُقوقِ الأرْض،

فينبتُ في جنباتِها الريحانُ والليْلَك

هنا تنامُ مليكةُ الزَّنْبَق

عيونُها ألقٌ وخُدودُها عرشُ الصَّفاء

وابتساماتٌ طروبُ تذوبُ خَجْلَى إذْ تصافحُ نُورَها

كانت نّدى، يُبلْسِمُ أحزانَ الزّمان..

هنا تنامُ كمنجةٌ عُلويَّةُ الألحانِ، بَرَّحَها وجْدٌ فتوارتْ بحجابٍ من سَنَا

كالخِضْرِ تمْشي فوقَ موجٍ من سكينة

وكالتَّسْبيحةِ السَّكْرى بعشقِ اللّه.

هُناكَ نامَ عاشقٌ .. هُنا تنامُ العاشِقَة

كان السحابُ أريكةً وطَرْفُ ثوبِهِمَا المدى

وصوتُ البعدِ أغنيةٌ جنائزيةُ الصَّدى

كالنَّخلِ ماتا واقفين

كالنَّخْل عاشا باسِقَيْن.

تجْرِبَة

هل تظن أنَّكَ ملكٌ أو نصفُ إلهٍ أيُّها الجنوبيُّ

إذْ تشرعُ سيفَ البِعادِ..

حين تَئِنُّ نادمةً على لحظاتِ عشقٍ مَعك؟

ما أظْلَمَك

- وانداحَ في الصَّمتِ رقيقًا كيَمَامة لم يَرُدُّ

بل تَبدَّد وَسَنًا حائرًا من عيونِ العاشقين

فَرَّ في صحراءِ اليُتمِ مثلَ غزالةٍ حاصرتْها الرِّيحُ من كلِّ الجهاتِ الأربعِ

انْثَنى على نفسِهِ وانطوَى كشعاعٍ فوجئ باللَّيلِ

فلم يعرفْ غيرَ العَدَم..

تمنَّى كل نُبْلِه وقتَ الرحيلِ فخَلَّفَ للريحِ وردةً وكِلْمَتَيْن.

تراتيل

لَسْتُ إلايَ

إنِّي أُفتِّشُ عن تراثِكِ البَشَرِيّ

كم مرةً دَخَلَ البرُّ في البَحْرِ وَكمْ مَرَّة اغتوى الغمامُ باليَمَامِ

وعن كلِّ ألفِ عامٍ توهبينَ للحياةِ

وعنْ الجِبَاه

كم ألفُ جبَّارٍ ينْحَني في ساعةٍ

لشجوِكِ اللَّيْلِيّ

وَعَنْ الصَّلاةِ

حينَ تَفرُّ من مِحْرابِها كَيْ تُبادِلْكِ الصَّلاة

....

أُفتِّشُ في تاريخِكِ الحَجَرِيّ

عن البنفسجِ حينَ يضحكُ للقَمَر

وعن القضاءِ والقَدَر

وعن العواصفِ حين تدخلُ في المَطَر

عمَّا إذا ما كنتِ ملهمةَ البلابلِ شَدْوَها

واهبةَ النُّسَّاكِ ما يُهْمي دَمعَهُم وقتَ السَّحَر

وما إن كنتِ من فَطَرَتْ قلبَ الحَمَامِ فَقَضَى

عُمرَهُ المُوحشِ يتعزَّي بالهديل

ويلاعبُ شَجْوَه .. وَتَرًا وَتَرْ.

أغنيةٌ لم تتم

رَجُلًا كُنتُ .. وكانَتْ طَيْفًا من وَسَنٍ يسْكُنُني

يمْسَحُ تاريخي يَجْعَلُني أتَسَامى.

يقرَعُ بي كُلَّ سماواتِ اللَّذَّةِ تَفْتَحُ، يصْطفُّ الحفَظَةُ في تَرْحابٍ وأنا الطِّينُيُّ أجوسُ في مملكةٍ من حورٍ عين

أزهدُ في الملكوتِ وأمضي نحوَ نَهَارٍ مُخْضَرٍّ في شفتيها .. كان نَهَاري الأوحدَ مُنذُ وُلدْتُ

وكانتْ أبهى من عشْتار.

....

يأكلُني الوقتُ بعيدًا عن مَلكُوتِكِ حين أكونُ طريدًا

لا أسمعُ لا أنطقُ لا أتنفّسُ .. من دونِكِ لا معْنَى للمَعْنى

هلْ أهذِي؟ لا بلْ يَهذِي الزَّمنُ اللاهِي حينَ جَمَعَنا ثمَّ نَثَرَنا في كَوْنَيْن

يا شَفَةَ البسماتِ ولوْنَ العشقِ وعيْنَ العَيْن

كُوني يَائِي.

....

النُّونُ نَدَى والنُّونُ أنينُ النَّايِ الهامِسِ في الخَلَواتِ لقَلْبٍ ناءٍ عنِّي

والنُّونُ نسيمٌ يحمِلُني فوقَ جَنَاحِ فراشة

والنُّونُ نداءُ النشوة

والنُّونُ النَّجْمَة تبعدُ تبعدُ .. تَترُكُني أتردَّى دُونَ بصيصِ نجاة

يا وَيْلي من نُونِكِ حينَ تَئِنُّ وتترُكنِي مُلْتاعًا كالمجنُون

النُّونُ النُّون.

تغريدة لفرسان 18 نوفمبر

إلى أحمد حرارة

وَعيْني فِدَاكَ

أَيَا مَنْ تَرُدُّ عنِّي الرَّدَى ولَوْ بالمُقَل

ورُوحِي فِدَا نَبضةٍ منْ بَهَاك

إلى رانيا فؤاد

ملاكًا تطيرينَ فوقَ رُبُوعِ البلادِ

تُداوينَ جُرْحِي وجُرْحَ الشَّهِيدِ

فمن أيِّ الأسَاطيرِ خرجْتِ وأيِّ أُسْطورةٍ تَدْخُلين

أكُنتِ تَضُنِّي علَيْنَا بطيفك أنَّا بَشَرٌ

وأنّ الملائكَ عانوا جِراحًا

فكانَ اختيارُ الرَّحيل

رجْعُ أغنياتٍ قديمة

على أعتابِ بَيْتِ جَدِّيَ القديم

في الطريقِ للمسجدِ العُمَرِيّ تجدونني ..

رُوحًا مُرفرفَةً تعاندُ الغِيَابا

في ليالي صيفِ قريَتِنا

على شاطئ اليُوسُفِيِّ

في مَبنى مدرستِي الأولى

حيثُ أتسلّلُ ليْلاً والرفاق

لنُعانِقَ أمنياتٍ ونُرَنِّم أغنياتٍ.

في تَلَصُّصِ البنات

على ضِحْكِنا ومَشْينا وحُلْمِنا الذي

يُعانقُ السَّماءَ وقْتَ كنَّا صبيةً صِغَارا

....

هناك ..ازرعوني

على شطِّ بَحْرِ يُوسُفَ ازْرَعُوني

بين عناقِ نخلتَيْنِ عاشِقتيْن

ازْرَعُوني

في أحداقِ أحبَّتي القُدامى

في شوارعِ بُرْطُباطَ المُتْرِبة

بين ثنايا اللَّيلِ حينَ يُغازلُ النجماتِ ازرعُوني

....

أوَّاهُ كم طال اغْتِرابي

اوَّاهُ كم عزَّ اقترابي

إني أحِنُّ إليْكُمُو وّيَئِنُّ من فَرْطِ النَّوَى بَابِي.

على هامش الخروج

أنا العاشقُ المطبوعُ فوقَ تلالِ عَالَمِكُم

قلبي وردةٌ للقيظِ ..أغنيتي سَحَابة

أنا الفاتنُ المفتونُ تطوي الشَّمسُ أشْرِعَتي فأتْبَعُها

إلى حيثُ الـغوايةِ .. والغرابة

أنا القاتلُ المقتولُ .. لا قتلَ بعْدي

في جبينِ الحُلمِ طَافتْ دمعتي

تمحُو سَرَابه

وأنتَ

نبضةٌ مرَّت فأحْيَت في دَمِي التطوافَ في الآفاقِ منحتْنِي الكتابة

وأنتَ العشقُ والمعشوقُ والسلوى

وريحٌ من سَنا الأشْواق

يداكَ البلْسَم الترياق وخدُّكَ مرفأُ النُّسَّاك

وخارطتي بلا عينيْك فارغةٌ

فراغَ اللَّيلِ حين يُخاصمُ العشَّاق

أنا المشتاقُ يا ليلى .. فكُوني العينَ والأحداق

وكوني الكأسَ والنُّدمانَ والنَّجوى

وغنِّي لي

قبيلَ الصُّبْحِ أغنيةً تُهدْهِدُني

وتسكبني عبيرًا بعينِ السِّحرِ والدَّهشة

أنا العاشقُ

أنا المقتولُ

أنا المطبوعُ عندَ نهايةِ الآفاق.

قلبي متكأً

ضنينٌ أنتَ بالوصلِ .. أسيرٌ أنتَ للأحزان

قريبٌ أنتَ في البعدِ .. برغمِ الهَجْرِ والأشجان

....

قليلًا ما رويتَ دَمِي .. دمائي ريُّها فَرْحُك

أتسخرُ من عذاباتي؟.. وقلبي مُتَّكا جُرحِك

....

فلا واللهَ ما أسلُو .. ولا يُبدِّلُني الزمان

وإني القاتلُ المقتولُ فلا ظَمِئٌ ولا ريَّان

وإنِّي العاشقُ المذبوح ، فدا نَظْرة

وإنِّي الوالهُ المشبوحُ

بالصُّلْبان.

المنفى

ليلٌ ليلٌ وسمائِيَ تعصفُ بالأرضِ ..

وتدفُنُ أحْلامًا ضيَّعَها وطنٌ مَسْبِيٌ ..

ودماءٌ فوقَ التلِّ تضوعُ كمسكٍ ربَّانِيّ

ليُعطِّرَ أجسادَ الشهداءِ الجوعى

ليلٌ ليلٌ ليلٌ والنهرُ الغاضبُ يحكي قِصَصًا للأطفالِ عن التاريخِ

ويرسمُ رُخًّا طارَ بعيدًا فوقَ بلادٍ محزونة

والنِّسرُ الهاربُ من عَلَمِ الدَّولةِ يهزأُ بالقلعةِ والأهْرام

يهزأُ بالصَّمتِ الكامنِ في أحشاءِ الناسِ .. ويهزأُ بالمجدِ الغابرِ والسُّؤْدُد

هل كانتْ مِصْرُ سرابًا وتبدَّد

هل كانتْ نِمْرًا من ورقٍ وخديعةَ جُغرافيا ..

هل كانت راهبةً تكذِبُ في محرابِ الله فأسْكَتَها

هل كانت سِرْبَ يمامٍ كرتونيٍّ أو سحرًا من سَحَرَةِ فرعون

هل تبحثُ عن قابيلَ القاتلَ ليداري سَوْأتَها

النيلُ حزينٌ .. والأقْصُرُ ذابلةٌ تتضوَّرُ بحْثًا عمَّنْ يُنقِذُها من جنباتِ اللَّيل

ليلٌ ليلٌ ليلٌ .. والقادمُ أكذبُ

والعطشُ يغطِّي أرضَ النَّهْرِ ويهزأُ بي

يهزأُ فاصْمُتْ إنَّ الصمتَ كلامُ المهزومينَ

وسَيْفُ المكلومينَ ووجَعَ جنينٍ في رَحِم الموْتى

أنِساؤك يا بلدي عاقرةٌ أن تُنْجِبَ قديسا آخرَ

ليلٌ ليلٌ ليلٌ

وأنا مِثْلُكِ يا بلدي .. منْفيٌّ وحزين.

لروح أبي القاسم الشابي

على مَهَلٍ.. نَمَا عِطرُكَ الفوَّاحُ في عمقِ الوطن

يا أيُّها الولدُ المناضِل تقدَّمْ واحتملْ نُخَبَنا المدنَّسَة

وارفع رأسَ حُلمِنا الذي ..

أدماهُ ألفُ حَجَّاجٍ مُخَاتِل

أسيافُنا صَدِئت .. فدَعْنَا مرَّةً

بسيفٍ غيرُ مثلومٍ

نُقاتِل.

وصايا عصفور راحل

---

(1)

لا تَحزَنْ أنَّك صِرتَ وحيدًا، فالوِحدةُ قدرٌ، نيرانٌ تُصْلي القلبَ ليَصفُو من كَدَرٍ، وأنظُرْ في مِرْآتكَ، لا تنظُرْ للعصفورِ حينَ يطيرُ وحينَ يَحُطُّ سعيدًا في فَنَنٍ آخرَ، أو حينَ يُرفرفُ بجناحٍ مكسورٍ ويعاندُ ريحَكَ، كي يُثبتَ أنَّ الكونَ فسيحٌ.

لا تترقَّبْ عصفورَكَ أو تتمنَّى عودَتَهُ ذاتَ صباحٍ، أو تحلُمُ بجناحيهِ يَحُطَّان على كتفيك، أو أنَّ الليلَ يُجَنُّ بقصةِ عِشقِكَ، إذْ لا عشقَ يدومُ، وقلبُ العصفورِ ليس كَقَلْبِك.

ادفُنْ أحْزانكَ في عُشِّكَ وازرعْ وردًا يُرْوَى بدموعِكَ ودمائِكَ، وتطَّهَرْ من ماضيك، وَدَعْهُ يُحَلِّقُ مزهُوًا، أنْ أَفلَتَ من قبضتكَ السَّكري، وانشِدْ أُغنيةَ وداعٍ للعصفور.

(2)

خبِّئْ أياميَ بينَ حنايا الروحِ، اجْعَلْها نورًا لا يتجلى لِسِوَايَ، أَوْ أودِعْهَا صُنْدوقًا أسطوريًّا، ليوزِّعَ يومَ الحَشْرِ يُبَشِّرُ بالجنةِ، إني أَوْدَعْتُكَ سِرِّي، وتركتُ الروحَ تُرَوِّي بِرُواءٍ أبدي ظمأَ الكلمات.

لا تلعنْ سالفَ أياميَ إذْ وهبتكَ البهجةَ، وتبَسَّمْ حينَ يهُبُّ نسيمٌ قربَكَ، أو يتدلَّى غصنٌ نشوانٌ من شجرةِ خُلْدٍ ويُصافحُ خدَّكَ، أو تتأوهُ عذراءٌ شوقًا للقاءِ حبيبٍ، تلمحُ في عينيكَ بريقًا قادَ القلبَ النشوانَ إلى ذِكْراه، فذلكَ بعضُ سنايَ تناثرَ لحظةَ ألقيتَ مَحَبتَّكَ عَلَيّ.

(3)

فلتصفحْ عنِّي حينَ تعودُ وتجدُ العُشَّ خواءً من ذاكرتي، ولترسمْ حلقاتٍ عدميَّةً، حَاذِرْ أن يَملِكُكَ الغيظُ فتحرِقْ بعضَ الزَّغَبِ المتناثرِ في أيَّامِكَ، فأنا أحْلَامٌ كنتَ تُراوِدُها، والماضي أفْلَتَ من قبْضَتِكَ ورُوحِي، وتذكَّرْ يومَ صعدتَ لسماواتِ النشوةِ بين جناحَيَّ. تذكرْ أنِّي أصبحتُ رمادَكَ مرَّاتٍ ونفخْتَ كلماتُكَ فيَّ الروحَ فعُدْتُ كعنقاءَ تغزُو بجناحَيْهَا الزمنَ لِيُسْلِمْكَ مفاتيحَ خلودٍ لمْ تحفظْهَا. وأنا إنْ أفلتْتُ بجلدي فبِوُسْعِكَ أن تَحبسَ ظِلِّي في شطآنِ كتابٍ، يقرؤُهُ بعدكَ أحفادُك ليقولُوا: كانتْ قصَّةَ عشقٍ خائبةٍ أخرى. فالصيادُ الماهرُ قد أفلتَ هذا العُصْفور.

(4)

الآنَ وحيدًا تجلسُ، ترْسُمُ ماضينا بالكلماتِ، وتتَفيَّأ ظِلِّي، لكنَّك لنْ تسمعَ زقزقتي، أو تشعرَ دِفْئي، وتذكَّرْ يومًا كنتَ تُحلِّقُ منتشيًّا، وتقولُ بصدقٍ درويشيٍّ (وأشبهُ نفسي .. حينَ أعلِّقُ نفسي على عُنُقٍ .. لا تُعانقُ غيرَ..)، ها أنَذَا خلفَ غمامٍ أذهبُ، ووحيدًا أنت تردِّدُ لحنًا صوفِيًّا مقصومَ الظهرِ: (مكسورًا صمتُك مُلتافًا بسواكَ تُغَنِّي).

الآنِ تركتُكَ ترسمُ شمسًا فوق جدارٍ، لا شمْسُك تُغْرِي، أو جُدرانُكَ تُغْوي عُصْفورًا مِثْلِي .. يَكْفِيني أَنَّكَ تبكيني.

فهرس

اشتهاء اليمام

لغة تليق بي

نَحِن.. نُجَن.. نَئِن
نُكِن الشوقَ ونحبو
قُرْبَ الأبوابِ المُوصدةِ
وَنَخْبُو كالنجماتِ
نَضُوعُ نَضِيعُ.. تَمزقنا الصبواتُ
..وتنثرنا الآهاتُ على دَرَجٍ يُدْخِلُنا رَحِمَ الأرضِ
لنصعدَ نحوَ الذاتِ، المفترَقَة عنّا
يَضْرِبُنا البرقُ ليصعقَ أرجاسًا مزمنةً فينا
ويُهَيِّئنا
لمنازلِنَا الأولى
كَمْ أَوحشني مَنْزِلِيَ الأول

مجدى شندى
لغة تشبهنى
شعر